



مركز تحقيق التراث
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
دار الكتب والأناضول القومية

شوامخ المحققين

مصطفى السقا

إعداد

مركز تحقيق التراث

مركز تحقيق التراث
دار الكتب والأناضول القومية

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

المحتويات

صفحة

٥ تقديم

أولاً : مختارات من المقالات : (٧ - ٥١)

٩ المعجمات العربية

٤٧ ملابسنا في كتب اللغة

ثانياً : من مقدمات التحقيق : (٥٣ - ٨١)

٥٥ مقدمة المعتمد في الأدوية المفردة الملك المظفر ابن رسول

٦٢ مقدمة معجم ما استعجم للبكري

ثالثاً : نماذج خطية : (٨٣ - ٩١)

٨٥ موشحة بمناسبة عودة الدكتور / طه حسين للجامعة

٨٨ موشحة بمناسبة نقل رفات الزعيم مصطفى كامل إلى ضريحه الجديد

تقديم

مصطفى السقا (١٨٩٥-١٩٦٩) أحد أعلام تحقيق التراث العربي، وهو من مؤسسي مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، والذي له دوره المحوري في نشر التراث العربي.

قام مصطفى السقا بتحقيق العديد من الكتب التراثية سواء بمفرده أو بالاشتراك مع آخرين، وهذه الكتب تربو على عشرين كتاباً منها على سبيل المثال: أدب الدنيا والدين للماوردي، والسيرة النبوية لابن هشام، والفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة لابن ظهيرة، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي، والمعتمد في الأدوية المفردة للملك المظفر ابن رسول، ومعجم ما استعجم للبكري... وغيرها.

وإلى جانب تحقيق التراث فإن لمصطفى السقا ما يزيد أيضاً على عشرين كتاباً مؤلفاً في الدين والأدب والتاريخ، بالإضافة إلى مقالاته بالصحف والمجلات الأدبية والدينية في مصر والسعودية.

وهذا الكتيب الذي بين أيدينا يضم نماذج من كتابات السقا، والتي تلقى لنا ضوءاً على بعض اهتمامات السقا، وتوضح لنا منهجه في تحقيق التراث كما رسمه في مقدمات بعض كتبه المحققة، بالإضافة إلى بعض النماذج الخطية بقلمه.

أول

مقالات

من المقالات

صَكَيْفَةُ الْمُعَلِّمِينَ

مجلة علمية ، أدبية ، خلقية ، تصدرها نقابة المعلمين

مديرها المسؤول ورئيس تحريرها

السَّيِّحُ أَبُو الْفَتْحِ الْفَقِي

المفتش بوزارة المعارف العمومية

العدد الثاني

(إبريل سنة ١٩٢٣)

السنة الأولى

المعجمات العربية

بين يدي أهل العربية اليوم طائفة كبيرة جداً من الكتب القديمة
المعتبرة ، أكثرها دني أو لاساقى ، وجعلها مما أنتجته قرائح العلماء

السابقين ، أزمان نهضة المسلمين العلمية في العصور العباسية .
والتأمل فيما ذاع بيننا من كتب القوم يرى في أسلوب تأليفها
ثبوتاً عن ذوق هذا العصر الذي تعيش فيه بحوار أمم الغرب ونستمد
منهم كثيراً من علومنا الكونية ، وشئوننا الحيوية .

ليكن لا غرابة في هذا ، فلكل أمة أساليبها في الفهم والتفكير ،
ولكل زمن ذوقه في الكتابة والتأليف ، وعلى العلماء في كل زمن وجيل
أن يضعوا للناس ما يناسب زمانهم ، وتنطليه حاجتهم .

وصلت إلينا علوم المتقدمين في اللغة والدين وغيرهما في كتبهم ،
فقرأناها ، وعرفنا أثر كل عصر من عصور التاريخ في هذه العلوم ،
وعرفنا الفرق بين أهل كل عصر وبيننا في الفهم والاستنباط ، ثم وقفنا
على حياتهم العامة والخاصة . فظهر لنا من كل ذلك أن تلك الكتب قد
أثرت في زمن غير زماننا ، وأن علينا واجباً هو أن نجددها بأساليب تلائم
أذواقنا وأحوالنا ، لنخط بذلك لنا صفحة في تاريخ العلوم والفنون
الاسلامية . قيل لنا بالواجب علينا :

لني أخشى أن يرمينا التاريخ بالعقوق إذا قلت أننا لم نحدث لنا
أثراً في إنباط علومنا وقتوتنا ، فإنا لم نرد على أن نشرنا كتبها بيننا
كما وضعها الأوائل من غير زيادة عليها أو نقص منها بما يلائم روح
عصرنا ، ولا أعرف لذلك من سبب سوى أن اعتقادنا الكمال في كل
قديم وإهمالنا فؤاداً بالمصور عن الإنسان تمثل ما أتى به السلف لا يزال
مالكا علينا عقولنا ومشاعرنا ، وهذا أحد الأسباب في تقاعدنا وانحطاطنا

على أننا إذا كتبنا جديداً - وقامنا بفعل ذلك - فأنما نكتب بأقلام القدماء ، ونفكر بعقولهم ، فلا يميز بين كتاب يؤلفه عالم من علمائنا في الدين أو فروع اللغة . وبين مؤلفات القرن الرابع أو الخامس الهجري .

والمطلع على سير التأليف عند أمم الغرب الآن لا يكاد يصدق أن ما يفعله من أعمال البشر ، فأن لا تسمع برأي جديد أو مذهب حديث إلا رأيت الصحف والمجلات وألوف المؤلفات قد تناولته بحثاً وتعليقاً وشرحاً وتطبيقاً ، وتقدراً ووزناً ، ولا تطلب علماً أو فناً حتى تجد فيه من طريف التأليف ما يأسر قلبك ، ويملك حسبك ، وترى من الاقتنان في تقريب العلم ، وتسهيل تناوله ما يملأ فؤادك روعة وإجلالاً لأولئك القوم الذين ضربوا في الحياة بسهم ، فلكل دور من حياة الإنسان كتب يقرؤها تناسب عقله وسنه ونوعه فما يقرؤه الطفل غير ما يقرؤه الصبي ، وهو غير ما يقرؤه الشاب أو الرجل ، وما يقرؤه الذكور غير ما يقرؤه الإناث وكل أولئك يقرءون كتبهم ويستمرئونها ويدفعهم الشوق إلى طلب جديد غيرها ، وهم يجدون كل يوم من يكتب لهم جديداً ، ويؤلف طريقاً ، في الدين أو اللغة أو الأدب أو غيرها .

إن الفرق بيننا وبين أهل الغرب عظيم جداً ، أنهم لا ينظرون إلى أعمال أسلافهم بالعين التي تنظر بها إلى أعمال أسلافنا . أنهم يعرفون قدر نفوسهم وعقولهم وأقلامهم ، أما نحن فقد جهلنا نفوسنا . وعطانا

عقولنا ، وأهملنا أفعالنا ، لقد تغير كل شيء - عندنا - تغيرت الأفكار
والعادات والأخلاق وكل شيء - في نظام حياتنا أما كتبنا فلم تتغير مع ما
تغير من أحوالنا ، فهي هي بأمثلتها ، ومقدماتها ونتائجها وعباراتها
وصحتها وخطئها وعلى طولها أو قصرها ، نجلها ونحرمها ، بل تعبدنا
وتقدسها مع أن مؤلفيها لم يعيشوا في هذا العصر لأنكروها وأكبروا
عليها إصلاحاً وتهذيباً .

لهذا رأيت أن أجول جولة حول تلك الكتب القديمة مبيناً ما
أراه من المعايير فيها وذاكراً طرق إصلاحها بما يلائم روح عصرنا بادئنا
بمعجزات الأمة لأنها أحق تلك الكتب بالتجديد إذ عليها تعتمد نهضتنا
العلمية والفنية

لمعة من تاريخ المعجزات :

وضعت أصول المعجزات التي بأيدينا في أيام النهضة الإسلامية
الكبرى ، أزمان كان العلماء يستطيعون مشافهة العرب في البوادي ،
والاختلاف اليهم فيما أشكل عليهم من مفردات وتراكيب ، إذ كانت
المساكن لا تزال صحيحة في البداية ، لم يفسدها الاختلاط ، وقد أدى
أولئك العلماء لسان العربي خدمة ما أجلها ، وأعظم عائداً على الأمة
الإسلامية !

وقد أخذ العلماء بعد عصر الأئمة الواضحين في ترتيب ما وصل
اليهم من كتبهم ، واختصارها أو أجمع بينها ، فشأت عن ذلك المبسوطات

والمختصرات التي بأيدينا الآن من مثل المختصر لابن سينا ، والصباح للجوهري ، واللسان لابن منظور ، والاساس للزحشرى ، والمجل لابن فارس ، والقاموس المحيط للفيروز ابادى ، والمصباح المير للفيوحي ومختار الصحاح للرازى ، وتاج العروس لازيدى .

الماخذ على المعجمات القديمة :

تلك المعجمات « على كثرتها وما عاناه الأقدمون في ترتيبها وتقريرها وما بذلوه من جهد في ضبطها وتهذيبها ، ومحاولة استيعاب الشوارد ، وتقييد الأوائد في بعضها لم تكن لتخلو من ما أخذ وعيوب ، ظهرت بعد طول تأملها ، والاضطرار الى استفتائها :

١ - من أوضح تلك الماخذ عليها في مجموعها عدم الاستغناء بواحد منها عن غيره ، مهما اتسمت مادته . فقد تجد في الصغير منها على صغره ما لا تجد في الكبير على كبره ، فتعثر في الصباح مثلا على « العوائد » جمعا للمادة ولا تكاد تجدها في غيره ، وتجد في الأساس وفي التاج « قلا عنه فيما اعتقد » لفظة « الشفاف » للجسم الذى لا يحجب ما وراءه ، على حين أنك لا تجدها في اللسان ولا في غيره . والمثل على ذلك كثيرة .

أما ضرر ذلك التفرق فهو إضاعة كثير من الزمن في مراجعة الألفاظ وتحقيتها . وما أمر ذلك على معلم الإنشاء الذى يتقف فى كل سطر يكتبه تلميذه بلفظة أو لفظتين أو أكثر يحتاج أن يكشف عنها

عنها في بطون هذه المعجيات كلها (لا يستثنى منها صغيراً ولا كبيراً) وما أحوجه الى ذلك الوقت المضيق أن ينفعه فيما هو أعود بالنفع الجليل عليه وعلى تلاميذه.

على أن هناك أمراً آخر غير ضياع الوقت ، وهو ضياع المال ، فطلاب اللغة واجب عليهم أن يقتنوا هذه المعجيات كلها ، مهما بلغ ثمنها . فبما بحق صناعتهم ، وما أكثر ذلك وأثقله على المتأدين ، ولو كان لدينا عيطة جامع لأوابد اللغة وشواردها لا كنتفينا به عن غيره ، خفضا وقتنا ، ووفرنا أموالنا .

٢ - ومنها سوء ترتيبها ، من حيث الخلط في شرح موادها . فالقاموس المحيط مثلاً تارة يتتبع المادة بأفعالها ومصادرهما ، ثم بالمشتقات والأسماء والجموع وما إليها . وطوراً يتتبع بشرح الأسماء والجموع ، ثم يأتي بالأفعال مجردة ومزيدة ، ثم يعود الى ذكر الأعلام والأماكن من غير ضابط ، ولا نظام ثابت ، وكل ذلك بطريق العطف بالواو . من غير تمييز بأقواس أو علامات كما هو شأن المعجيات الأفرنجية التي يسهل على أصغر الطلاب البحث فيها .

٣ - ومن ذلك غموض بعض عباراتها غموضاً لا تذهب معه الخبرة ، ولا يبرح الخفاء ، مما يتلأ نفس الباحث غيظاً وسأمًا كما في التعريفات الدورية ، أو الإحالة على المرف الخارجي . يظهر ذلك في شرح أسماء بعض النبات أو الطيور أو العقاقير الطبية ، أو الألعاب

العريسة . وما الى ذلك من الآلات والأدوات التي لا نعرفها اليوم .
وما أجدرنا بعرفتها .

ومن أمثلة الغموض قول صاحب السراج في ترجمة (القرقوس)
هو كملكون ، القاع الصليب لا نبت فيه ، أو الأملس الغليظ الأجرد
التي ليس عليه شيء ، ودرنا نبع فيه ماء ، ولكنة مفرق خيث كسائه
قطعة نار ، ويكون مرتفعاً ومطمئناً ، وهي أرض مسجودة ، ومن
سجرتها أياض الله نبتها ومنعه .

فمثل هذا القول (على طوله) لا يكشف شبهة ، أو يرسل حيرة .
وما زلت بعد قرأته بلى وحفظه غير فاهم المراد منه .

د - ومن المآخذ عليها أنها يعوزها التحقيق العلمي أحياناً ، فإن
بعض عباراتها في ما أثبتته العلم الحديث التي أساسه التجربة والمساعدة
الصحيحة ، مثل أن يقول لك صاحب القماموس (اليعسوب) أمير
النحل وذكرها : وهو خطأ صوابه (اليعسوب) أمير النحل وأنهارها
كلها مبيت في علم الحشرات .

هـ - ومنها أنك تجد فيها اختلافاً كثيراً ، فيقول لك القماموس
وشرحه في ترجمة (الكعبة) إنها لعبة هم (العرب) . بأحد الصي
(خرقة) قيد ودها . ويجعلها كأنها الكرة ، ثم يتعمر بها . ويقول
اللسان إنها (خرقة) . وزاد على ذلك قول صاحب السراج أنها تسمى
في الحضرة باسمين الخرقة يقال لها الترن . والآخر يقال لها البكرة .

أن أردوا أدري أصدق اللسان أم الفصاح ، وما زلت في حيرة
من طريقة التفاهر بها كيف كانت ، ثم يزاد تعجبي من قول صاحب
اللسان إنها اسمي في الحضر باسمين . . . الخ لأنه لم يلبث أن أوقفت في
حيرة أخرى بذاتك الاسمين الذين لا تعرف لهما مسمى .

٦ - ومنها كثرة الآراء المختلفة في اللفظة الواحدة فيقول لك
صاحب التاج في شرح (الألب) هو المشب رطبه ويأسه ، أو المرعى ،
أو جميع السكلا الذي تمتلئه الماشية ، أو هو ممت المرعى للدواب
كالفاكهة للإنسان ، أو جميع ما أنبت الأرض .

وفي شرح (الإلب) هو يوب يشق في وسطه ، فناتية المرأة
في عنقها من غير حجب ولا كمين ، أو هو ما قصر من الشباب فاصف
الساقين ، أو هو النفية أو البهيرة ، أو هو قميص بلا كمين ، وقيل
الإلب غير الإزار لا يربط له كالشكة وليس على خياطة السراويل ،
ولكنه قميص غير مخيط الجازين .

وفي شرح (الألبت) هو الكثير من المال ، وقيل كثرة المسال ،
وقيل متاع البيت من لباس أو حشو لفراش أو دثار ، وقيل المال كله
من الإبل والغنم والعبيد والمتاع ، وقيل هو ما يتخذ للاستعمال أو
للتجارة ، وقيل هما بمعنى ، وقيل هو ما جد من متاع البيت لا ما رث
وقيل ، وقيل لا واحده له ، وقيل واحدة أنثى .

وهكذا لا تكاد تقرأ مادة في الكتب المطولة إلا رأيت مثل هذا
الطواف الذي لا طاقة لنا بالصبر عليه .

٧ - ومنها طول بعضها طويلاً مملاً يذكر ما لا طائل نحته من الحشو ، والاسترسال في الاستشهاد نصيحة المفردات ، واختصار بعضها اختصاراً غلباً بحاجة صغار الطلاب بحيث يدعو إلى نبذه لولا ما به من شوارد قد لا توجد في غيره . ومن أمثلة ذلك المختار والمصباح وما شا كلهما .

٨ - ومنها ذكر بعضها لأسماء الأمكنة والبقاع ، وأعلام القبائل والأشخاص ، وإغفال بعضها كل ذلك ، واقتصاره على مادة اللغة .

٩ - ومنها أن بعضها يعنى بشرح التصاريح وعملها ، والمشتقات وأصولها ، والمصادر ومسموعها ، والجموع وغرائبها ، والنسبة وشواذها ، والحقيقة والمجاز ، ومنها ما لا يعنى بذلك كبير عناية .

١٠ - ومنها كثرة وقوع الخطأ اللفظي فيها (وتلك طامة كبرى) بسبب جهل النساخ قديماً والمصححين حديثاً ، أو قلة عنايتهم ، أو خطأ المؤلفين أنفسهم ، وذلك واضح فيما هو غير مضبوط منها ، فنقرأ في أساس البلاغة (طبعة مصر سنة ١٣٢٧) في مادة (جمع) : ما جاء في (إلا) (جمعية) منهم ، والكتاب غير مضبوط ، فنفرج بكلمة (جَمِيعَة) ظاناً أنها مما ورد في اللغة ، ولكن لا نلبث أن نقرأ تصحيحها في الطبعة الأميرية الجديدة سنة ١٣٤٠ هكذا (ما جاء في إلا جَمِيعَة) فيستحيل فرحك زراية على المطابع والمصححين والنساخين ، وكل من كان له أثر في ذلك الخطأ من القدماء والمحدثين .

وفي القاموس المحيط كثير من هذا الخطأ استدركه عليه التاج
والوشاح والجالسوس وغيرها .

١١ - ومنها حاجتها إلى الصور والرسوم لتوضيح المجهول من
أسماء النبات والحيوان خاصة بما يزول معه اللبس ، كما فعل بعض مترجمي
العرب فيما ترجموه عن اليونان ، وكما يفعل أهل الغرب بتعجباتهم .

١٢ - ومن المآخذ عليها اختلاف ترتيبها ، وعدم اتحاد طريقة
البحث فيها . مما جعل بعضها يثنأى عن أيدي بعض المتعلمين ، وما
أحسن أن توحد طرقها وطريقة المعجمات الأفرنجية ، وهي الطريقة
التي وضع عليها الأساس والمصباح وما في معناهما .

مصطفى السقا

(يتبع)

مدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

المعجمات العربية

«تابع ما قبله»

طور الترتيب الحديث

ظهرت تلك المآخذ «التي ذكرناها في الجزء الماضي من الصحيفة» لكثير من أنصار اللغة، وذوى الفيرة على الأدب العربي، فهبطوا إلى ترقية شئونهما، والأخذ بناصرها، وفكروا في إصلاح المعجمات القديمة أو وضع غيرها. ولم يقف الأمر عند التفكير، بل وصل إلى الشروع، وبرز الفكرة من مكنها، فقام أديب مصرى فاضل «وأعنى به المرحوم النجارى بك» لترتيب «لسان العرب»، ترتيباً يقال إنه على أسلوب المعجمات الإفرنجية الحديثة، ولكنه عاجلته المنية دون إتمامه، ونحن نأسف أبلغ الأسف لوقوف هذا المشروع حيث وقف به صاحبه، وقلة من اهتم فينا بالأمر من بعده.

ووضع بعض أفاضل السُوريين معجمات جديدة لخصوها من تلك المعجمات القديمة، ومن أحسنها وضعاً وترتيباً «محيط المحيط»، و«قطر المحيط»، «البيستانى»، و«أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد»، «الشترتوتى»، و«المنجد»، «لؤلؤة اليسوعى».

نقد المعجمات الحديثة

لكن شيئاً من ذلك لم يكن ليغنى عن الحالة القديمة التى ما زلنا نشكو منها اليوم الشكوى.

فأما محيط المحيط وقطره فلا يتدحان إلا نرتبهما ، وفي غير ذلك
يشتركان فيما اشتركت فيه المعجمات القديمة من العيوب والماخذ ، على
أنهما مزيج من الألفاظ العربية والدخيلة والمولدة ، وهما حريتان أن
يكونا معجمين لما يتكلم به أهل العربية من صحيح وغير صحيح ، لا أن
يكونا معجمين عربيتين ، ذلك إلى قلة رؤيتهما وعدم الاعتناء بطبعهما
وأما أقرب الموارد فهو الحيداء وتقليد المحيط إلا أنه أفضل
منه تنسيقاً وتدقيقاً ، وأجمل طبعاً ووضعاً ، وأكثر استيعاباً للشوارد ،
وتقييداً للأوابد المبعثرة في دواوين الأدب وكتب اللغة . على أنه لا يخلو
من عيوب كان يجب أن يبرأ منها

أما أولاً فإغفاله ذكر الأماكن والبقاع ، وأعلام القبائل
والأشخاص ، مع شدة الحاجة إليها
وأما ثانياً فذكره للمولد والدخيل « تقليد المحيط وقطره »
ومثل هذا المعجم كان يجب ألا يحوى غير الفصح والصحيح كما فهمنا
ذلك من عنوانه

وأما ثالثاً فتركه كثيراً من المفردات اللغوية مع محاولته استيعابها
من المعجمات وكتب الأدب وما إليها
وأما رابعاً فكثرة ما به من ذبول تجرّ إلى ذبول ، وفهارس للتنبيه
والتكلفة ، والتصحيح ، والاستدراك ، وغير ذلك مما يند معه
الصبر الجليل

وأما خامساً فخلوه من الصور الموضحة لمشكلاته وغوامضه

ذلك إلى أشياء أخرى لم يخل منها معجم قديم أو حديث
وأما المنجد فهو نموذج حسن لمعجم مدرسي صغير ، وهو على
صغره أوفى مادة من المصباح والمختار ، ولا يخلو من بعض ما أخذ
على أقرب الموارد وغيره . كأنفاله الأماكن والأعلام الضرورية ،
وذكره المولد والدخيل ، ولكنه يفضل بالصور والرسوم التي توسع
بعض المهمات فيه

برع في تأليف المعجمات

ومما يؤخذ على هذه المعجمات الجديدة ، ذهاب أصحابها جميعا
مذهباً واحداً ، في حذف جانب كبير من اللغة من معجماتهم ، تحرجاً
وتأثماً ، ذلك هو القسم الخاص بالرفق والفاظ العورات والسوءات ،
فلا تجد قليلاً ولا كثيراً منها في المعجمات الحديثة التي سبق الكلام
عليها ، على حين أنك قد لا تجد (ترجمة) تخلو من هذه المعاني أو ما
يتعلق بها في المعجمات القديمة . حذفوا ذلك القسم إبقاء على الآداب
(كما يقولون) وتزيتها للأبصار أن تقع على هذه العورات ، خوفاً أن
تتبع الشر من مكنه ، وتنتشر الإثم والخزي بين الناس

مذهب جميل في التربية ، يذهب إليه الغريزة في تأليفهم الجديدة
أدبية ولغوية ، إلا أني أعتقد أنه مذهب نظري ، لا يعلم الناس الأشياء
واحداً ، هو الرياء وتصنع الأدب . وما عجت أشيء عجبي لقوم لا يستحيون
أن يدوسوا الفضيلة بأقدامهم . بما يعملونه من أعمال . هي غاية في

القباحة والفتحة ، ثم تقوم قيامتهم لقطع حدودها في كتاب ، يظنون
 ان في ذكرها هتكاً لحرمة الفضيلة والآداب ، أيوهوا الناس انهم من
 انصار الحق ، واعوان الشرف ، وما هم وحقق إلا الأذعياء ، يتقمون
 من الآداب باسم الغيرة على الآداب والإبقاء على الفضائل
 ولعمري لئن كان لهم بعض العذر في حذف ذلك من كتب
 الأدب التي تقع في ايدي الشبان والشوَاب ، فليت شعري ما عذرهم في
 حذف ذلك من كتب اللغة ؛ وكيف يفخرون بتزيق اوصالها ، وبتبر
 اجزائها ؛ لم يكن احرى بهم ان يرفعوا الآداب العمليكة الاجتماعية ؛
 ويرفعوها من هذه الوهدة التي اختنقت فيها الفضيلة ، ولا عليهم بعد
 ذلك ان تمتلئ صفحات الكتب بهذه المسميات التي يستحيون
 من (كتابتها)

والخلاصة اننا لا يصح ان نذهب مذهب القوم في وضع معجمائنا ،
 لأننا لا بروقنا هذا الرياء والآداب المتصنع ، لا يصح ان نحذف شيئاً
 من مادة اللغة . ومهما يكن ذكره قبيحاً نحذفه اقبح وآثم ، لأننا ائمان
 على هذه اللغة لا يصح ان نعيث منها إلا ما امانة أهلها ، ومع ذلك
 فقد نذهب هذا المذهب الجديد في احاديثنا ، وما ننشره من آدابنا ،
 وفي النسخ التي يتداولها صغار الطلبة والطالبات من كتبنا ، اما في
 المعجمات الكبيرة فلا

الرعدة لا صريح المعجمات

ولما كان إصلاح المعجمات وتهذيبها من أول الوسائل لأنها من

اللغة ، وأقوى المجهودات المنهضة العلمية الفنية التي تسمى إليها الممالك العربية عامة ، والمملكة المصرية خاصة ، سعياً حثيثاً ، وكان كل ما عمل بها حتى الآن : من اختصار وتهذيب لمطولاتها ، ومن بسط وتطويل لختصراتها ، غير محقق للغاية التي يَشُدُّها محبُّو العربية المتعلقون بها ، رأيت أن أنشر اقتراحى هذا بين الناطقين بهذه اللغة الشريفة ، رجاء أن تتعاون جميعاً على البر بها ، وإصلاح شئونها ، ووضع معجمات جديدة ، على الطريقة التي سأرسمها ، فإننا معاشر الناطقين بالعربية أخرجُ ما نكون إلى الهوى بلقننا في هذا العصر ، الذي نرى فيه رقى اللغات من أسباب سعادة الأمم ، وقوتها ، وحياتها ، ونرى فيه الأمم والجماعات المختلفة تجعل العناية بمسألة اللغة ونشرها من أهم المسائل التي يترتب عليها فوزها في مستقبل حياتها ، فلا بد لنا من مجازاة تلك الأمم في إحياء لغاتهم ونشرها ، حتى نصل إلى ما وصلوا إليه بجدد ، والله يوفقنا إلى خير العمل

تأليف لجنة المصروح المجدد

لذلك أرى أن تؤلف لجنة كبيرة من أفاضل المشتغلين بالعلوم العربية والفنون النغوية ، ليؤلفوا للناس محيطاً جامعاً لما وسعته المعجمات على اختلاف مناحيها ، من مفردات وتراكيب ، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أخصاها ، حتى يكتفى به الباحثون عن صغار المعجمات وكبارها ، وليكون هذا المحيط خاتماً لعهد الاضطراب ، والاختلاف ،

وتنشت الأفكار ، وتلبيح الألسن ، وكثرة الأقوال ، وضياح الزمن
والمسال

أما تأليف اللجنة فأمر لا بد منه لأن ذلك العمل الشاق مما
لا نستقل به فرد بأعبائه ، ولأن كل ما ظهر من عمل الأفراد (في
اللغة) حتى اليوم لا يخلو من شوائب نقص ، ولأن عمر الجماعات أطول
من عمر الأفراد ، ولأننا نريد أن يتم ذلك العمل في القريب العاجل ،
وهيات أن تقي قدرة فرد بذلك

وإذ كان الناس يلحون على أولى الأمر في مصر الآن بتأليف
لجنة لوضع مدونة كبيرة للعلوم (دائرة معارف) رأيت (بهذه المناسبة)
أن أذكرهم بما قد يعترض العاملين فيها ، فيعطل سيرهم ، أو يوقفه ،
زمنًا طويلًا (على الأقل) من المشكلات اللغوية . ولذلك أرى أن
يكون تأليف اللجنة اللغوية حكوميًّا (تقوم به وزارة المعارف ، وعلى
حسابها) ما دام تأليف اللجنة العلمية سيكون حكوميًّا . وأقول أيضًا
أنه لا بد من توطيد الصلة بين اللجنتين . حتى يتم التعاون بينهما ، بيد
أن أفضل أن تسبق اللجنة اللغوية في العمل اللجنة العلمية ، لتمهيد لها
كثيرًا من مسائل اللغة كالاشتقاق والتعريب والتوليد ، وما إلى ذلك
من المسائل التي لا بد من تحييصها قبل أن تقوم اللجنة العلمية بعملها ،
وإلا وقفته أو أخرجه للناس مشوهًا ناقصًا

ولا بد عند قيام اللجنة اللغوية بعملها أن تكون على اتصال تام
بالرأي العام . بنشر مناهجها وما يعترض طريقها من عقبات على

الجمهور ، وفيه (والحمد لله) كثير من ذوى الأفكار الناصجة ، والفكر
العصابة ، فعمل ذلك مما يسهل عليها القيام بعملها كاملاً

المعجمات التى نضمها للفترة ونظامها

تبدأ اللجنة عملها بوضع محيط كبير (المعانى) ، وبعد أن يتم تأليفه
يختصر منه نسختان ، تحوى إحداها ما لا بد منه للمطالعين الذين
يؤثرون العجلة فى الكشف ، ممن لا يسمح لهم الوقت بقراءة المادة
المطلوبة فى المحيط الكبير وتكون فى حجم أقرب الموارد ، أما الثانية
فتكون دون هذه ، وتعمل لطاية المدارس ومن فى درجتهم من
المتعلمين . ويجب أن يكون نظام هذا المعجم المحيط فريداً ، وأرى أن
يُخصى الفصيح والصحيح من لغة العرب فى بعض أسفاره ، مع تقصى
جميع ما ورد من ذلك فى كتب اللغة ودواوين الأدب

ثم يضاف إلى ذلك سفر خاص بأعلام الأشخاص والقبائل والبلاد
والأماكن

ثم سفر آخر يختص بالمولد والدخيل فى جميع العصور الإسلامية
(غير الذى أدخله العرب أنفسهم فى لغتهم ، وجرى منها مجرى الدم فى
الجسم ، وصار مجهول النسب)

وهذان السفران يكونان قابليين للنمو على حسب مقتضيات
الزمان ، فيمكن لكل جيل أن يضيف اليهما ما شاع فى عصره من
مولد ودخيل وأعلام ونحوها ، أما الأسفار الخاصة بمادة اللغة فلا

يصح زيادة شيء عليها إلا ما عسى أن تثبته معجمات ليست بأيدينا
الآن إن صح أن في الوجود معجمات أخرى

أما ترتيب مواده فعلى نظام أقرب الموارد والمنجد ، لأنه خير
نظام أخرج للناس . وأما ضبطه بالشكل الكامل ، ومراعاة الدقة في
تصحيحه ، فيجب أن يكونا بالحمل الأول من اهتمام المتقنين لهذا
المشروع الجليل ، حتى يبرأ مما أصاب مُعْجَمَاتنا من غلط (تشويه ومسح
وبعد فلا أرى هذه المعجمات الثلاثة (المحيط ومختصره) سادة

لحاجتنا من جميع وجوهها ، بل لا بد من وضع معجمات أخرى
(للألفاظ) على طريقة المخصص لابن سيده لأن تلك معجمات أهل
الفنون والصناعات والمترجمين ونحوهم ممن يعرفون المسميات ولا
يعرفون أسماءها . ونحن في إيمان هذه النهضة المباركة لا بد أن نمد يد
المُعَوِّنة لأولئك الساعين في إنفاض المالك العريضة نهضة علمية فنية
بإيجاد المعجمات التي يسهل عليهم الرجوع إليها

عند ذلك استطيع أن أقول إننا نخدم لغتنا ، وأقوى جامعتنا ،
وإننا قد وضعنا حجر الزاوية في بناء النهضة العربية ، وإننا نلهضون
ومسرعون إلى الحياة المستقلة السعيدة . التي نحن أحقُّ بها وأهلها ما

مصطفى السقا

مدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

العدد الأولي (المحرم ١٣٥٤ - إبريل ١٩٣٥) العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

مجلة الآداب واللغة والتربية والاختراع

تصدرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديرية "صحيفة دار العلوم" في جميع مدارسها

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

أبو الفتح النقي

ملايسنا

في كتب اللغة

بقلم مصطفى السفا

المحرر بجمع اللغة العربية للكتابة

من القواعد التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي للعمل بها عند وضع الألفاظ بأزاء المعاني المستحدثة أن يبدأ بالبحث عن الألفاظ العربية الفصيحة ، التي استعملها القدماء في أغراض تشبه أغراضنا في العصر الحاضر .

وقد خطر لي أن أدرس باب الملابس في المعاجم العربية وكتب فقه اللغة ، لعل أجدها من فصيح الألفاظ ما يسد بعض حاجتنا في هذا الباب ، فذا استأثرت اللغات الأجنبية بالتعبير عن كثير من شؤون حياتنا ، وانقطعت الصلة أو كادت بين أسماء ملايسنا القديمة وملايسنا الحاضرة ، فإذا عرض لنا من أسماء الملابس القديمة شيء ، فيما نقرأ من كتب الأدب أو اللغة لم نفهمه ، وكأنا أمام رسم دارس من رسوم الأوربين ، نحاول حل رموزه ، والكشف عن ألفازه .

قد يكون من الحق أن ملايسنا الحاضرة تختلف كثيراً عن ملابس العرب في الحاضنة والإسلام ، لأن كثيراً من أزيائنا مستعار من المدنية الغربية الحديثة ، فليس من العجب إذا أن تكون الكثرة من أسماء الملابس الأجنبية كسمياتها .

غير أننا لا نزال نجد في كتب العرب جملة من أسماء الملابس تشبه

مسمياتها بعض ما نلبسه في هذا العصر مسمى بغير اسمه العربي ، مع فروق يسيرة اقتضتها أحوال الزمان والمكان .

فإذا استطعنا أن نتجاوز عن الفروق التي لا تمس الجوهر استطعنا أن نحكي ألفاظا عربية تعني غناء بعض الألفاظ الأعجمية ، التي نستعملها في غير ضرورة ماسة .

ولئن أعرض في (صحيفة دار العلوم) ما وجدته من أساء الملابس التي يمكن وضعها لبعض ما نلبس ، راجيا من محبي البحث اللغوي أن يتبعوها بالنقد والتمحيص ، رابا بالعربية ، وضئها أن ترمى بالعمى ، وفيها من غوالي الكلم ، ونقائس الدرر ما يزرى بالياقوت والجوهر .

ما يوضع على الرأس

الْقَلَنْسُوءَةُ : الطربوش

الْكُمَّةُ : طربوش العمة

في اللسان — الْقَلَنْسُوءَةُ وَالْقَلَنْسُوءَةُ ... من ملابس الرأس معروف

وفي اللسان أيضا — الْكُمَّةُ : الْقَلَنْسُوءَةُ المدورة ، لأنها تعطي الرأس

وفي الحديث : ، كانت يكام أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طحطا ،

(وفي رواية أكمة) . قال : هما جمع كثرة وقلة للكمة : الْقَلَنْسُوءَةُ . يعني

أنها كانت منبطحة غير متصبة .

وفي الأساس — واعتم على الْكُمَّةُ ، وهي هذه الْقَلَنْسُوءَةُ اللاطئة

بالرأس ، على مقداره . ونقول : لانتحس العمة ، إلا على الْكُمَّةِ .

هذه النصوص أوضح ما في المعاجم العربية في تفسير الْقَلَنْسُوءَةُ

وَالْكُمَّةِ . وهي في الحقيقة قاصرة لا تصور المعنى ، بالدقة التي يطلبها هذا

العصر ، وقد نسي أصحاب المعاجم أن العرف الذي يحلون عليه في تعريف

الأشياء الطبيعية حينما يقولون : (نالت معروف ، أو حيوان معروف)
لا ينبغي الإحالة عليه في مثل الملابس ، لأنها أمور صناعية تختلف باختلاف
البيئات والعصور .

بعد هذا أقول : أشك في من المعاجم بأن الفلنسوة والكُمة من
ملابس الرأس ، مع ملاحظة ما بينهما من فرق ، ففضع الفلنسوة في
استعمالها للغطى بدلا من (الطربوش) والكُمة بدلا من (طربوش
العمة) . ونغض النظر عن المادة واللون والطية الخاصة ؛ أم نقول إن
العرب وضعت كلا من الفلنسوة والكُمة اسما لمسمى خاص ، ولا يجوز
أن يجعل اسم الشيء علما على آخر لما يتبع إخراج الألفاظ عن معانيها
الأصلية من فساد في اللغة ، وخفاء في الاستعمال ؛

الذي أحثاره التوسع ، وحمل الأمر على المحاز ما وسعنا المحاز بعلاقاته
وقرائمه ، وحسننا هنا أن كلا من الفلنسوة والكُمة من ملابس الرأس ،
وأن الأولى منتصبة (على هيئة الطربوش) والآخرى منبطحة لاطئة
بالرأس . وفي هذا التشابه في الغرض والصنعة ما يحملنا على ألا نتردد في
إثارة اللفظين العربيين على اللفظين الدخيلين .

على أن ما يمتاز به اللفظان العربيان من وجود صيغ أفعال من مادتهما
ووجود مصادر ، وجموع القلة والكثرة أحيانا ، يجعلهما أصح للبقاء ،
وأحق بالإثارة ، وأحسن تصرفا في أساليب الكلام .

ما يوضع على الجسم

نرى قبل تسمية أنواع الملابس التي تلبس على الجسم أن تكلم على
طبقاتها ، وقد قسمها القدماء إلى طبعين ، شعار وذرثار ، وقد كتبني أصحاب
المعاجم في شرح الكلمة بأن يقولوا : هي شعار ، أو ذرثار ، أو نحو ذلك .

الشعار

فالشعار: اسم لكل ثوب يلي جسم الإنسان، سواء أكان من القطن أم من الصوف أم من الحرير أم من غيرها؛ وتختلف هيئة تفصيله كما تختلف مادته باختلاف أحوال الناس في الغنى والفقر، وباختلاف الأجواء وطبائع البلاد، وباختلاف الأشخاص ذكرانا وإناثا. وقد يفهم كل هذا من إطلاق اللغويين لفظ الشعار من كل قيد سوى ملامسة جسم اللابس. قال صاحب اللسان: الشعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، والجمع أشعرة وشعر. وفي حديث الأنصار: «أتم الشعار، والناس الدثار»، أي أتم الخاصة والبطانة. اهـ

الدثار

والدثار: هو الطبقة الثانية تلي الشعار؛ وقد يكون ثوبا واحدا أو أكثر. قال في المصباح: الدثار ما يتدثر به الإنسان، وهو ما يليه عليه من كساء أو من غيره، وتدثر بالدثار: تلبف به. وفي القاموس: الدثار (بالكسر) ما فوق الشعار من الثياب.

الملاحف

واللغويون يسمون الملابس التي يتغطى بها اللابس من نحو الرداء والحية والملافة بالملاحف، كما يطلقونها على الأغطية التي يتدثر بها في النوم. قال صاحب اللسان: اللحاف والملاحف والملاحفة: اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه، وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به. اهـ. وجمع اللحاف: الحُفَف. وجمع الملاحف والملاحفة: ملاحف.

المقطعات وغيرها

وجدير بنا هنا أن أشير إلى أن الثياب التي تلبس نوعان ، فهنا : ما يُشْتَطَع ويُفَصَّل على قدر الجسم ، ومنها ما لا يفصل . قال صاحب اللسان في مادة (قطع) :

المقطع من الثياب : كل ما يفصل ويخاط ، من قميص وجاب وسراويلات وغيرها . وما لا يقطع منها كالأردية والأزُر والمطارف والرباط التي لم تقطع ، وإنما يتعطف بها مرة ، ويتلفع أخرى . وهذا الفرق الذي ذكره صاحب اللسان وشارح القاموس ينفعنا كثيراً حين نقرأ الباب الذي عقده ابن سيده في الجزء الرابع من المخصص بعنوان (الملاحف) فإنه لم يذكر فيه من الملاحف إلا ما لم يُفَصَّل ولم يُخَط ، كالأردية والأزُر والرباط والمعاطف .

وعلى ذكر المعاطف أحب أن أنبه على شيء التمس على بعض الناس فهمه ، فقد شاعت كلمة المعطف بيننا اسماً لذلك الملحف الذي يسميه الناس (الباطور) وسمته إحدى لجان المجمع (المدرع) فليس من شك أن (الباطور) مما يفصل ويخاط ، ولكن العِطاف أو المعطف الذي ذكره ابن سيده في المخصص : رداء ، أي ثوب غير مخيط ولا مُقَصَّل يُرْتَدَى على المسكين والكفيل ومُجْتَمَع العِيق ، ثم يعطف طرفه ، أي يثنى . قال الراغب في المفردات : المعطف يقال في الشيء إذا ثُنِيَ أحد طرفيه إلى الآخر ، كمعطف المصن والوسادة والحبل ، ومنه قيل للرداء المثنى عِطاف . فما أحقنا أن نعدل عن كلمة معطف (الباطور) لأنها وضعت في غير موضعها .

أنواع من الملا بس المجسد . الغطاية . الغلالة

في تاج العروس — المجسد (كثير) : ثوب يلي الجسد ، أي جسد المرأة
فتعرق فيه . وقال ابن الأعرابي : ولا تخرجن إلى المساجد في المجسد .
هو جمع مجسد ، وهو القميص الذي يلي البدن . اهـ
ومثل المجسد الغطاية والغلالة . قال ابن سيده في المحمص : الغطاية
ما تغطت به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها . والغلالة نحوها ، وهما
أيضاً الشعر . اهـ

وفي الأساس — وبرزت فلاتة في غلالة . وبرزن في غلال ، وهي
شعار يلبس تحت الثوب البدن خاصة . اهـ
هذه ألفاظ عربية فصيحة عذبة هجرناها وآثرنا عليها ألفاظاً دخيلة
هي (الفاللة والكاشكورسيه) ونحوهما من الألفاظ التي يتحدث بها
النساء حينما يردن أنواع الأشعة التي تلي أجسامهن .

قد يقول قائل : إن لهذه الألفاظ الدخيلة دلالة خاصة ، كالدلالة على
النسيج ذي الهدب ، أو الذي يمتد إذا مد ، وكالدلالة على هيئة التفصيل من
حيث طول القميص أو قصره ، ووجود الأكمام أو عدمها ، ونحو ذلك مما
لم يلاحظ في ألفاظ المجسد والغطاية والغلالة .

وجوابنا عن هذا أن الصفة الأساسية للشعار أنه الثوب الذي يلي
الجسد من أية مادة ، وعلى أية هيئة . وهذا المعنى ملحوظ في الألفاظ
العربية . فالمجسد الذي يلي الجسد ، والغطاية التي تغطيه ، والغلالة التي تستقل
فيها ، أي يُدخِل . وهذه المعاني أثبت على الزمان . وأبقى من هيئة التفصيل
ونوع النسيج . وورقة أوصافه ، مما يختلف باختلاف أحوال الناس وبيئاتهم

وقد يفهم من نصوص المعاجم السابقة أن الألفاظ الثلاثة لشعار
النساء خاصة، وهذا صحيح في المجد والغطاية، أما الغلالة فالذي يظهر أنه
عام في شعار الرجال والنساء، قال صاحب اللسان: الغلالة: شعار يلبس
تحت الثوب، لأنه يتغلل فيها أي يدخل، وفي التهذيب: الغلالة: الثوب
الذي يلبس تحت الثياب. اهـ

فصاحب اللسان وصاحب التهذيب يطلقان القول في الغلالة، ولا
يخصانها بالنساء، ولكن ابن سيده ذكرها في الجزء الرابع من المخصص في
الصفحة ٣٨ وعدها من ملابس النساء وثيابهن. وقد يستأنس لجعل الغلالة
من ملابس الذكور بقول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرأ زرارته على القصر
فإن ضمير صاحب الغلالة مذكر، هذا إذا لم يرد به الشاعر معنى
الحبيب ونحوه.

بقي في تفسير الغلالة قول المراهب الأصفهاني في المفردات في غريب
القرآن وهو:

الغلالة: ما يلبس بين الثوبين، فالشعار لما يلبس تحت الثوب، والدثار
لما يلبس فوقه، والغلالة لما يلبس بينهما. وهذا أقرب ما رأيت في تفسير الغلالة.

القميص
جمعه أقمصه وقمصان وقمص، وهو مذكر إلا إذا قصد به الذرع
المبيدية.

وكتب اللغة تفاوت في تحديد معنى القميص، وأكثرها يحيل على
المعروف، فيقول صاحب اللسان: «القميص الذي يلبس معروف»، مذكر،
وزيد عليه القاموس فيقول: «القميص وقصد يؤنث

م - (معروف) ولا يكون إلا من قطن، وأما من الصوف فلا، اهـ

وزاد الشارح بعد (من قطن) أو كتان، اهـ
والمعروف أن القميص من الشعار، ولم يصرح بذلك من أصحاب
المعاجم القديمة غير شارح القاموس إذ يقول: «وذكر الشيخ ابن الجوزي
وغيره أن القميص ثوب محيط بكفين غير مُفَرَّج، يلبس تحت الثياب...
قال شيخنا: وقال قوم: ولعله مأخوذ من الجلدة التي هي غلاف القلب،
وقيل مأخوذ من القمص، وهو الثقلب، اهـ»

وقال ابن سيده: «قيص القلب: شحمه، أراه على التشبيه» اهـ
وصاحب المنجد من المتأخرين يقول: «القميص ما يلبس على
الجلد» اهـ

ولفظ القميص في العربية هو عنه في بعض اللغات الأوربية
(Chemise) ويدل على نحو ما يدل عليه اللفظ العربي، ولذلك زعم
بعض الباحثين في الألفاظ أن اللفظ العربي معرب عن اللاتينية (انظر
كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة، للنس طوبيا العيسى الحلبي اللبناني).
ولكن المعجمات العربية لم تنص أن اللفظ مُعَرَّب، ولعله مما تنوَّس
عربية، لقدمه في اللغة.

هذا، والقميص في العربية من ملابس الرجال والنساء، وفي القرآن
العزيز: (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْرًا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقْتَ)، وقال الشاعر:
أبت الروائف والشدى لقمصها من الطون وأن تفس ظهورا
وخلاصة هذا البحث أن القميص هو الكلمة الرابعة التي تدل على
الشعار في العربية، وإذا سلمنا أن الألفاظ الثلاثة السابقة خاصة بشعار
النساء، فالقميص لشعار الرجال والنساء جميعا، فاستعمله بدلا من كلمة
(فائلة) للرجال والنساء.

الإِتْب - المِثْبَة

ذكر صاحب اللسان وصاحب القاموس وشارحه في تفسير الإِتْب والمِثْبَة أقوالاً كثيرة، نختار منها التفسيرين الآتين:

١ - الإِتْب - من الثياب - ما قَصُرَ فَصَفُ الساق .

٢ - الإِتْب : قِصص بغير كمين .

وإذا لم تشغل أنفسنا بالأقوال الأخرى التي نقلت في تفسير الإِتْب ، جاز لنا أن نجتمع بين هذين القولين وأن نطلق الإِتْب أو المِثْبَة على ذلك الثوب الذي ينصُفُ الساق ولا يكمل له ، وهو الذي يسميه سيدات العصر (قِصص النهار) وهو ما يلبس تحت الدرع .

الدرع

في المخصص - درع المرأة : قِصصها ، مذكر ، والجمع أدرع . اهـ .
وفي اللسان - درع المرأة : قِصصها ، وهو أيضا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها ، وكلاهما مذكر ، وقد يؤنثان . وقال اللحياني :
درع المرأة مذكر لا غير ، والجمع أدرع . وفي التهذيب - الدرع : ثوب تحب المرأة وسطه ، وتجعل له يدين ، وتخط فرجيه . ودُوِّعَت الصبية ، إذا ألبست الدرع . اهـ .

وفي القاموس - الدرع من المرأة : قِصصها ، مذكر ، والجمع أدرع . اهـ .
هذه النصوص تكاد تتفق على أن درع المرأة قِصص ، لولا ما نقله اللسان عن التهذيب من أن الدرع ثوب . الخ .
وأنا أميل إلى أن الدرع ليس قِصصا ، بل هو الثوب الذي يلبس فوق القِصص ، وهو الذي تسميه لسان العامة (جلابات البيت) . ويساعدنا على هذا عبارة التهذيب السابقة ، وقول آخر نقله ابن سيده في المخصص عن

ابن السكيت في تفسير معنى السبيجة إذ يقول : السبيجة : درع عرض
يدنه إلى عظمة الساعد ، يخاط جانباه ، وله كُمٌ صغير طوله شبر ، يلبسه
ربات البيوت ، فأما الجوارى فيلبس القميص .

فهذا القول صريح في أن الدرع ليس من القميص ، وإنما هو شيء
آخر تلبسه ربات البيوت ، وقد يفهم من قوله (يلبسه ربات البيوت)
أنه موصوف بزيادة في السعة والطول يمتاز بها عن القميص ، ليناسب
ربات البيوت في احتشامهن وأسنانهن .

وأوضح من ذلك في أن الدرع غير القميص قول أبي منصور الثعالبي
في الباب الثالث والعشرين من كتاب فقه اللغة :

الأتب والقرقر^(١) والقرفل ، والصدار والمجول ، والشوزر : قمص
مقاربة الكيفية في القصر واللطافة وعدم الأكمام ، يلبسها النساء تحت
دروهن^(٢) ، وربما اقصر عليها في أوقات الخلوة ، وعند السذل . أم
فهذا القول غاية في الصراحة في أن الدرع يلبس فوق القميص ،
وليس هو القميص ، ونحن نستحسن جدا أن نطلق لفظ الدرع على
(جلباب المنزل) أي ما يسمى : (Robe)

السبيجة — السبيجة

وأحب ألا أتروك هذه الفرصة تمر دون أن أحث لفظاً عربياً هو
(السبيجة أو السبيجة) التي سبق شرحها في الكلام على الدرع ، فقد

(١) نقلنا هذا النص من كتاب فقه اللغة بحروفه ، وصاحب تاج العرب
يقول في تفسير (القرفل) ما يأتي : وهو الذي تسميه العامة (قرقر) وقد
التعذيب : ونساء أهل العراق يقولون (قرقر) وهو حجاب .

(٢) خالف أبو منصور جمهور اللغويين الذين سموا درع المرأة على (الدراع)

تجاهلنا هذا اللفظ ، وأحيانا بدلا منه لفظا دخيلا كثيرا ما يرد على السنة
سيدات العصر ، وهو (Robe Japanese) .

المجول

المخصص - المجول : درع خفيف تجول فيه الجارية . اه
الاساس - وبرزت في مجولها ، وهو ثوب تلبسه الفتاة قبل
التخدير ، تجول فيه . اه

اللسان - المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية . غيره - والمجول :
ثوب يثني ويُخاط من أحد شقيه ، ويحتمل له جيب ، تجول فيه المرأة ،
وقيل : المجول للصنية ، والذرع للمرأة .

القاموس - المجول (كثير) : ثوب للنساء أو للصغيرة .
تقول هذه النصوص : إن (المجول) ثوب تلبسه الفتاة في البيت وفي
خارج البيت قبل أن تقصر في الخدر . أو هو ثوب تجول فيه المرأة في
البيت . والمراد أنه درع تلبسه ربة البيت تجول فيه .
وأنا أستحسن قول من قال (المجول للصنية ، والذرع للمرأة) . فاذا
سمعنا هذا القول إلى قول الرمثري السابق في الاساس ، جاز أن نطلق
كلمة المجول على (الفستان) الذي تلبسه فتيات المدارس مثلاً ومن في أعمارهن .

المعرض

في القاموس - المعرض (كثير) : ثوب تجلى فيه الجارية .
وفي المصاح - المعرض (وزان مقود) : ثوب تجلى فيه الجوارى ليلة
العرس . وهو آخر الملابس عندهم ، أو من أفخرها .
وقد وضعت إحدى لجان المجمع كلمة المعرض (لفستان العروس)
ولكن قواعد المجاز لا تأني إطلاق هذا اللفظ على كل ثوب فاخر
تلبسه المرأة أو الفتاة في المنزل عند الزيارات مثلاً . وفي المجتمعات الخاصة
والعامة . وهو ما يطلقون عليه اسم (الفستان) .

الجلباب

كثيرا ما نسمع من الشبان والفتيات اللينقات كلمة فرنسية هي (Robe de Chambre) يعنون بها ذلك الثوب الذى تجلجل به الثياب فى المنزل ؛ وعندنا فى العربية مرادف عربى فصيح لهذا اللفظ الفرنسى ، وهو (الجلباب) فاسمع إلى ما يقوله اللغويون فى معناه :

المخصص — عن صاحب العين - الجلباب : ثوب أوسع من الخمار دون الرداء ، تغطى به المرأة ظهرها وصدرها . اهـ .

اللسان — وقيل هو ثوب واسع دون المملحفة (الملاءة) تلبسه المرأة ، وقيل هو المملحفة . وقيل هو ما تغطى به المرأة الثياب من فوق كالمملحفة . اهـ

القاموس — الجلباب (كسرداب وسنار) : القميص ، أو ثوب واسع للمرأة دون المملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالمملحفة ، أو هو الخمار . وتتلخص أقوال اللغويين فى تفسير الجلباب فى أنه يطلق على الخمار والقميص ، والمملحفة ، وثوب واسع للمرأة دون المملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالمملحفة .

وهذا المعنى الأخير هو الذى يناسب ما نريده من هذا البحث ؛ فهو منطبق على معنى (Robe de Chambre) ، فهل يتاح لهذا اللفظ الواحد الخفيف أن يتداول على السنة الخاصة والمتقنين من شبانا وشواتنا ، ليدلوا على حب الغتهم وغناها ؟

بقى أن النصوص السابقة تفيد أن الجلباب من ملابس النساء ، فهل يجوز إطلاقه على ما يلبس الرجل من هذا النوع ؟

وجوابنا عن هذا أن علاقة الإطلاق والتقييد فى المجاز تساعد على تعميم اللفظ فيما يلبسه النساء والرجال ، ولا ضير من

مصطفى السقا

للبحث بقية .

السنة الثانية (ربيع الأول سنة ١٣٥٤ - يونية سنة ١٩٣٥) الجزء الأول

صحيفة دار العلوم

مجلة الأدب واللغة والتربية والاجتماع

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» في جميع مدارسها

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

أبراهيم الفقي

ملايسنا في كتب اللغة^(١)

- ٢ -

بِطَلْم الأُسْتَاذ مَعْطَفِي السَّافَا

المُحَرَّر بِتَجْمِيع اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلدُّسُكِيِّ

الدَّرَاعَةُ : Chemisette المِدرَعَةُ : Jacquette المِدرَع : Paletot

المُفَصِّل : الدَّرَاعَةُ وَالْمِدرَع : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ ، وَهِيَ جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ
الْمَقْدَم . وَالْمِدرَعَةُ : ضَرْبٌ آخَرُ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الصُّوفِ خَاصَّةً . وَقَدْ
تَدْرَعُ مِدرَعَتِي .

النِّسَابُ : الدَّرَاعَةُ وَالْمِدرَع : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي تَلْبَسُ ، وَقِيلَ جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ
الْمَقْدَم وَالْمِدرَعَةُ ضَرْبٌ آخَرُ . وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الصُّوفِ خَاصَّةً . وَتَدْرَعُ مِدرَعَةً
وَأَدْرَعُهَا وَتَدْرَعُهَا .

النَّاسُ : وَالْمِدرَعَةُ (كَمَكْفَسَةٍ) : ثَوْبٌ كَالْمِدرَعَةِ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الصُّوفِ
خَاصَّةً . قَالَ اللَّيْثُ . وَقِيلَ الدَّرَاعَةُ : جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمَقْدَم . وَأَنْشَدَ أَبُو لَيْلٍ لِبَعْضِ
الْأَعْرَابِ :

يَوْمًا لِلْخَلْفِ (٢) وَيَوْمًا لِلْبَالِ مَشْعَرًا يَوْمًا وَيَوْمًا ذَيْتَالِ

مِدرَعَةً يَوْمًا وَيَوْمًا سِرْبَالِ

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَضَّأَتْهُ وَعَلَيْهِ مِدرَعَةٌ ضَيْقَةُ السَّكَمِ ،
خَافَ أَنْ يَخْرُجَ يَدُهُ مِنْ تَحْتِ الْمِدرَعَةِ ، فَوَضَّأَ .

هَذِهِ الْفُظُوفُ ثَلَاثَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَدْ نَصَّوْا فِي الْمَعَاجِمِ أَنَّهَا مُخْتَلَفَةٌ فِي
الْصِّفَةِ أَوْ فِي الصَّنْعَةِ ، وَلَكِنَّا نَنْظُرُ أَنَّ الْأَخْتِلَافَ بَيْنَهَا فِي الصِّفَةِ لَا يَعْدُو أَنَّ يَكُونُ

(١) رَاجِعِ الْمَقَالَ الْأَوَّلَ فِي مَجْلَدِ دَارِ الْعُلُومِ . الْعِدَّةِ الرَّابِعِ . السَّنَةِ الْأَوَّلِ
الْمُنْشَرِجَاتِ ٩٧-١٠٨ (٢) وَفِي رِوَايَةٍ : لِلْخَلْفَانِ .

كالاختلاف في الصنعة ، فهي تدل على ضروب من الملابس قريب بعضها من بعض في الشبه ، ولما كانت المعاجم لم تشرح هذه الألفاظ الشرح الذي يحدد معناها بالدقة ، رأينا أن نلجأ إلى الاستنباط في تعرف حقيقتها . وأول ما ننبه عليه أن التخصص واللسان قالا إن الدراعة والمدرع شيء واحد ، وأن المدرعة ضرب آخر ، أما شارح القاموس فقد سمع صاحب القاموس ، فأهمل المدرع جملة ، وأحل محله المدرعة : وجعلها مساوية للدراعة ، ولا ندري أمن قبيل اللفظ ذلك أم نقل صحيح انفرده ؟ فإذا حملناه على الصحة خرجنا من البحث بأن الألفاظ الثلاثة متساوية المدلول ، ولم نعبأ بقول التخصص واللسان إن المدرعة ضرب آخر أي غير الدراعة والمدرع . وعندنا بعد ذلك قولهم في المدرعة (وقيل جبة مشقوفة المقدم) فهذا الوصف يقرب لنا معنى الكلمات الثلاث كثيراً ، ويضعها في دائرة خاصة ، بعد أن كانت ضرباً من الثياب غير معلوم الصفة ولا الهيئة ، فالجلباب من الملابس المعروفة الباقية إلى عصرنا هذا ، وهي من الملاحف التي تلبس فوق سائر الملابس . وقولهم (ولا تكون إلا من الصوف خاصة) صفة أخرى تساعد على اعتبار المدرعة وما سواها من الألفاظ من الملابس الخارجية (الملاحف) التي تلبس للبرية أو لاقاء البرد .

ونمايتنا من هذا البحث أن تنتفع بهذه الألفاظ الثلاثة العربية العنيدة ، فطابقها على مشابه لها من أزيائنا التي استعناها من الزي الأجنبي ، فنطلق الدراعة على ما يسمى (الشميزيت) وهو مأخوذ للنساء إلى نصف الجسم ، لكنها لا تلبس به المتخذ من الصوف خاصة ، وإنما نطلقه على ما يتخذ من الصوف وغيره كالحريز ونحوه .

ونطلق المدرع على ما يسمى (البالعو) وهو أطول من الدراعة وقد يصل إلى الركب أو أسفل منها ، ولا تقصره على زي النساء ، وإنما يسمى به ما يلبسه الرجال من هذا النوع .

ونطلق المدرعة على (الجاكيت) وهي جبة مشقوفة المقدم من الصوف غالباً إلى نحو نصف الجسم أو تحته بقليل ، وهي من ملابس الرجال دون النساء .

وقد يشفع لهذا النحو من التخصيص الذي توخيه في الألفاظ الثلاثة ما يجده من شبه قوى بين منطولات (الشميرت والبالطو والجاككت) والدرع الزردية، فإن الألفاظ الثلاثة كأنها الدرع للإسباقيه من آثار الأجواء فكانت الدرع صاحبها من سهام الأعداء. هذا إلى ما بينها من شبه في الصورة والهيئة. فإن من الدرع ما هو سابع يغطي الجسم كله وذلك يشبه (البالطو) ومنها ما يكون قصيراً يقي البدن دون سائر الجسم. وهذا يشبه (الشميرت والجاككت).

وقد ذكر صاحب السعادة المرحوم أحمد تيمور باشا (الجاككت) في معجم الغامية المصرية، وقال إن الجمع العلى العربى بـمشق وضع لها كلمة (الرداء) واستحسن هذا الوضع. ثم ذكر لفظين آخرين يرادفان الجاككت، وهما الجُمَازَة والنصفية، وبعد ما أورد الشواهد الشعرية قال: تدل آيات الجزار على أن نصفيته كانت من نسج أبيض تغسل وتفق وتسقى بالشا.

ثم قال: وللتظحيح وإن كان مولد الوضع، وعدم وضوح المراد منه وضوحاً شافياً غير مانع من إطلاقه على (الجاككت) إذا أردناه، أو إطلاقه على (القميص الأفرنجي) لأنه يستر النصف، ويغسل ويسقى بالشا ويكوى كنصفية الجزار، فلتنى بكلمة عن كلمتين. اهـ

أقول إن التواضع والأصطلاح لا مشاحة فيما، ولكننا نضع كل الألفاظ الصالحة بين يدي الجمهور. لئلا يفتقر على السمع، وما يعتذب في التفتق.

السُرْبَال : (القميص الأفرنجي) Shirt

المفردات : السربال القميص من أى جنس كان.

الترابيه : في حديث عثمان : « لا أخلع سربالاً سربالية الله ». السربال : القميص وكى به عن الخلافة، ويجمع على سرايل. ومنه الحديث : التواضع عليين سرايل من قفطان، وقد تطلق السرايل على الدروع. ومنه قصيدة كعب بن زهير :

شم العرائين أبطال يوسف
من نسج داود في الميخا سرايل

المصباح : السربال . ما يلبس من قميص أو درع ، والجمع سراويل . وسربله السربال (قسربله) بمعنى : ألبسته إياه فلبسه .

اللسان : السربال : القميص والدروع ، وقيل : كل ما لبس فهو سربال . يفهم من هذه النصوص أن السربال يطابق على درع الحرب ، وعلى القميص من أى نوع كان ، وعلى كل ما يلبس . والمعنى الثانى أظهر من الثالث لأنه يضع السربال فى قسم القميص ، أما المعنى الثالث فلا يحمله محدود المعنى ، ولا ظاهر المندلول .

ويمكن أن نعتبر السربال نوعا خاصا من القمصان ، هو ما تسميه : (القميص الإفرنجى) وإن كان فى الأصل صالحا لكل قميص . لأن شيوع اللفظ وعمومه يجعله غير صالح لاحاجة ما ، ولذلك لا يستعمل الأدباء والكتاب كلمة سربال وجمعها سراويل مع خفتها وعذوبتها ؛ لأن السربال بحسب ما ورد فى المعاجم لا يدل على شئ معين من ملابس الناس ، ونحشى إذا ظل هذا اللفظ على عمومه أن يطول أمد هجرانه ، فلا يرد على الأفلام والألصقة فى غير القرآن والشعر القديم .

أما إذا خصصناه بما يسمى الآن (القميص الإفرنجى) فقد ضمنا له حيلة طويلة قوية : لأنه سيذكر كل يوم مئات المرات على ألسنة الناس وأفلامهم . وقد يقول معترض إن هناك إبعادا فى تسمية القميص الإفرنجى سربالا فإن هذا القميص ملبس حديث لم يعرفه العرب ، فخرى ألا يكون له اسم فى لغتهم ، ونحن مع تسامحنا بهذا نرى أن كثيرا من الألفاظ كان لها دلالات خاصة عند الوضع الأول ، ثم تقلت فى عصور التاريخ من معنى إلى معنى على حسب الحاجة ، وباب الجواز باب قياسى مفتوح مابقيت العربية ، وبحسبنا أن السربال هو القميص فى جميع معاجم اللغة ، فإذا قلناه من القميص العام إلى قميص خاص . لم يكن فى ذلك تكلف ولا إبعاد .

وقائدة ذلك أننا نستغنى بكلمة واحد . عن كلمتين ، ليقدر تداول اللفظ فى مصحح الكلام .

الطوق - (الياقة = Col)

خيار المصباح : الطوق : واحد الأطواق . وطوقه فطوق : أى ألبسه الطوق . والمطوقة : الحماة التى فى عنقها طوق .

المصباح : وطوق كل شئ : ما استدار به ، ومنه قيل للحماة ذات طوق .
اللسان : الطوق . حل يجعل فى العنق ، وكل شئ استدار فهو طوق وقد طوفه فطوق أى ألبسه الطوق فلبسه : وقيل : الطوق ما استدار بالشئ ، والجمع أطواق والمطوقة : الحماة التى فى عنقها طوق .

مفردات الرغب : أصل الطوق : ما يجعل فى العنق خلفة كطوق الحمام ، أو صفة كطوق الذهب والفضة ، ويتوسع فيه ، فيقال طوقه كذا كقولك فلده .
أقول : هذه النصوص تدل على أن الطوق شئ مستدير حول شئ ، وبعضها يدل على أن الطوق شئ يابس حول العنق ، ومنه المثل : (شب عمرو عن الطوق) (١) .
ويقال للحماة مطوقة وذات طوق . ونحن نستحسن أن نطلق كلمة الطوق على ما تسميه فى هذا العصر (الياقة) وقد يسمى بلسان الفرنجة (Col)

وقد سبق بعض الأدباء إلى تسمية (ياقية القميص) بالزريق : استنادا إلى تعرض المعاجم . قل فى اللسان : « زريق القميص : ما أحاط بالعنق » .
ولا مانع أن نطلق كلمة الزريق فى هذا العصر على (الياقة) المخيطة فى القميص تكون عرض الإصبع تقريبا . أما (ياقية) القميص الأفرنجى ، و (ياقية) الملابس الخارجية من نحو المدرع والمدرعة غير كلمة لها فى ظننا هى (الطوق) .

الأرربة = المعنقة : Cravate

اللسان : الأرربة العقدة التى لا تنحل حتى تحل حلا . وقال ثعلب : الأرربة العقدة ولم يخص بها التى لا تنحل .

(١) هو عمرو بن عدى ، وهذا المثل مشروح فى نواح العروس فارجع إليه .

والأربة : قلادة السكب التي يقاد بها ، وكذلك الدابة .
 الرُّسَاس : وتأريت العقدة : توثقت ، وأربتها : وثقتها .
 القاموس : الأربة (بالصم) : العقدة ، أو التي لا تتحل حتى تحل . والقلادة .
 القاموس : والمعنقة (كمكنسة) : القلادة .
 المساه : والمعنقة : قلادة توضع في عنق الكلب . وقد أعنقه : قلده إياها .
 وفي التهذيب : والمعنقة : القلادة ولم يخصص .

هاتان الكلمتان العريتان (الأربة والمعنقة) ظاهرتا المدلول ، وهما صالحتان للتعبير عما يسمى بلسان الفرنجة (Cravate) بطريق التسمية لأن (الكرافات) من بعض الوجوه هو عقدة لا تتحل حتى تحل ، أو هو كالقلادة ، وكذلك المعنقة قيل في شرحها إنها القلادة مطلقا . وقد سبق بعض الأدباء إلى وضع كلمة (الأربة) لهذا الذي يربط حول الرقبة في الزي الأوربي ، ونحن لانرى بذلك بأسا ، ونضيف إلى ذلك كلمة (المعنقة) التي عثرنا عليها في قراءتنا الخاصة في كتب اللغة . واللفظتان متكادان تتساويان في نظرنا ، لأن لكل منهما فعلا من مادتتهما ، كأن لكل صيغة جمع قياسية ، فيسبلى استعمالها وتصريفها في أساليب الكلام . فننظفهما في الاستعمال ، والزمان وحده كفيل ببقاء الأصلح للبقاء .

المِبْدَل = المبدلة : (Pyjama)

فقه اللغة : والمبدلة : ثوب يبتذله الرجل في منزله .
 الرُّسَاس : وخرج علينا في مبادله وفي ثياب بدلتيه . والرجل يبدل في منزله .
 المساه : قال ابن برقي : أنكر على بن حمزة مبدلة . وقال مبدل بغير هاء .
 وحكى غيره عن أبي زيد مبدلة . وقد قيل أيضا مبدعة ومعوضة عن أبي زيد .
 لواحدة الموائد والمعلوز ، وهي الثياب والخلفان ، وكذلك المبادل ، وهي الثياب

التي يتنزل في اللباس . ومبذل الرجل ومبدّعه ومعوزة : الثوب الذي يتنذه ويلبسه .

أقول : المنزل (على رأى علي بن حمزة) والمنزلة (على رأى أبي زيد) تصلح لما نسيه اليوم (البيهجاما) لأنها ثوب يلبسه الرجل ويتنذه في منزله ، وهي من ملابس المترفين ولكن اللفظ صادق أيضاً (بالجلبية) التي لا يزال يلبسها أبناء البلد الذين لم يمتروا في التشبه بأهل التمدن الحديث ، فإذا قصرناها على (البيهجاما) ذات الشكل الخاص ، وهي مؤلفة من مدرعة وسراويل ، كانت ذلك من قبيل تخصيص العام ببعض ما يصدق عليه ، وهو مجاز مقبول .

وقد أطلق بعض (١) الكتاب المعاصرين على (البيهجاما) كلمة منامة ، ولكننا نرى أن المنامة ليست من الثياب التي تلبس ، وإنما هي من الأغطية التي يتدثر بها في النوم . قال الثعالبي في فقه اللغة : المنامة والقرطف والقטיפعة : ما يتدثر به من ثياب النوم .

وفي لسان العرب : والحامدة : ثوب ينام فيه ، وهو القטיפعة . قال الكهيت : عليه المنامة ذات الفضول من القهز (٢) والقرطف (٣) المخمل وقال آخر :

« لكل منامة هذب أصير »

أي متقارب .

فقد وصف المنامة بأنها ذات فضول ومخمل متقارب ، وأحر بأن يكون المراد بهذه المنامة مانسية (البطانية) .

- (١) هو صاحب العدة محمد كرد علي بك عضو مجمع اللغة العربية المملوكي . وقد نشر جريدة الفاظ في الصحف العربية . وفيها المنامة (البيهجاما) .
(٢) في اللسان : القهز والقهزى والقهزى ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمزحزى .
(٣) وفي اللسان : القرطف : القטיפعة المخملة . الأزهرى في ترجمة قسطنطين : القراطيف من مخمل . وفي حديث البخمي في قوله : (يا أيها المدثر) أنه كان متدثراً في قرطف القטיפعة التي لها مخمل .

الجمازة = البدن = Jersey

المخصص : الجمازة : دراعة قصيرة من صوف .

الرواية : وفي الحديث أنه تواضاً فضاق عن يديه كُمًا جمازة كانت عليه .

الجمازة : مدرعة صوف ضيقة الكمين .

الناسخ : الجمازة (بالضم) دراعة من صوف . وبه فسر الحديث أن النبي

صلى الله عليه وسلم تواضاً فضاق عن يديه كما جمازة كانت عليه ، فأخرج يديه من تحتها .

اللعامة . البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط .

قصير الكمين . ابن سيده : البدن : الدرع القصيرة على قدر الجسد ، وقيل هي

الدرع عامة . والجمع أبدان . وفي حديث مسح الخفين : فأخرج يده من تحت

بدنة : استعار البدن هنا للجنة الصغيرة تشبيهاً بالدرع . ويحتمل أن يريد من أسفل

بدن الجنة ، ويشهد له ما جاء في الرواية الأخرى ، فأخرج يده من تحت البدن .

هذه النصوص في مجموعها تدل على أن كلا من الجمازة والبدن ثوب قصير

يغطي نصف الجسم ، كما تدل على أنه يكون من الصوف .

أما وجه الخلاف بينهما فإن الجمازة ضيقة الكمين ، والبدن قصير الكمين ، ومن

هذه الصفات نستطيع أن نطلق الجمازة على ذلك القميص الصوفي الذي يكون

مشقوق المقدم أحياناً وغير مشقوق أحياناً ، ويكون له كان ضيقان ، وهو ما يسعى

في الاسكاذية (Jersey) .

أما البدن فنطلقه على نوع آخر منه يكون بلا كمين .

وقد أثرنا أن نخصص كل نوع باسم لوجود لفظين في اللغة العربية يؤيدان

هذين المعنيين . ولأن تخصيص كل نوع باسم من المطالب التي تدب إليها جمع

اللغة العربية للملكي لتقليل الاشتراك في الألفاظ : لأن الاشتراك من أسباب

المبوض في كثير الأحيان .

الأَصْدَة = الأَصِيدَة = المؤَصَّد :

Robette

السلامة : ابن سيده - الأَصْدَة والأَصِيدَة والمُؤَصَّد : صدار تلبسه الجارية ، فإذا أدركت درعت . وأشد ابن الأعرابي لكثير :

وقد درعها وهي ذات مُؤَصَّد مجوب ولما تلبس الدرع ردها
وقيل : الأَصْدَة ثوب لا كى له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

تاج العروس : الأَصْدَة (بالضم) : قيص صغير للصغيرة ، وهي صدار تلبسه الجارية ، فإذا أدركت درعت ، أو يلبس تحت الثوب . . . وقال ثعلب : الأَصْدَة : هي الصدرة . وقيل الأَصْدَة : ثوب لا كى له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

هذا بعض ماورد في تفسير الأَصْدَة وهي الأَصِيدَة (كقصيدة) والمُؤَصَّد كمعظم أيضا . ونحن أميل إلى قبول التفسير الأخير الذى فى عبارق اللسان والتاج ، ميجوز أن نطلق أحد هذه الألفاظ الثلاثة على الثوب القصير الذى لا كى له تلبسه الصيات ، وهو ما يسعى فى بعض اللغات الإفرنجية (Robette) وهو تصغير لكلمة (Robe) التى وضعنا لها فى المقال السابق كلمة درع ، وعلى ذلك يكون معنى قول كثير المذكور آنفا :

وقد درعها . . . الخ أى إنهم ألبسوها الدرع وهو الثوب الذى تلبسه النساء (الجلية) مع أنها لا تزال صغيرة لم يلبس ترينها الدرع .

ولا يقدح فى هذا التخرج قولهم : (تلبسه العروس) فإن العروس إذ تكون فى الملوحة أنت تكشف عن محاسنها ، وتبدي زينتها لعروسها ، فلا تجعل ثوبها كين ، ولا تبلغ فى تطويل ذيله ، فيكون شأنها شأن الجارية الصغيرة التى تلبس قصير الثياب وما لا كى له . هذا على اعتبار الأَصْدَة من الملابس الخارجية أما إذا اعتبرت من القمص والملابس الداخلية كما يفهم من قول صاحب التاج : (أو يلبس تحت الثوب) فإن من شأن هذا النوع فى الغالب القصر وعدم الإكمام .

البقيس = البقيرة (الحرملة) = Pelerine

النساء : والبقيس والبقيرة : بُرد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب . وقيل هو الإيتب . الأصمعي : البقيرة أن يؤخذ برد فيشق ثم تلقى المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين . والإيتب : قميص لا كمين له تلبسه النساء .

أقول : تلمادة البقر في كتب اللغة على الشق ، والبقيس والبقيرة : بُرد مشقوق . فهما فعيل بمعنى مفعول . والبرد كما قال ابن سيده : ثوب فيه خطوط ، والبردة : كساء يلتحف به . وقيل إذا جعل الصوف شقة ولها هذب فهي بُردة ، وجمعها بُرد ، وهي السلسلة المخططة .

وقول الأصمعي : أن يؤخذ برد الخ كالصريح في أن المقصود بالبقيرة ما نسب في هذا العصر لبسان العامة (الحرملة) ، ويقال له في بعض لغات الأمازيغ كلمة (Pelerine) .

أما قولهم إن البرد ثوب فيه خطوط ، فيحمل على أن الأصل فيه ذلك توسعا ، وعلى هذا لا يمتنع أن تكون البقيرة ذات لون واحد أسود أو غيره .

التبَّان = (لباس البحر) Culotte de Mer

الزُهَّابة : التبَّان سراويل صغير يستر العورة المغطاة فقط ، ويكثر لبسه الملاحون وأراد به ههنا السراويل الصغير ، ومنه حديث عمار أنه صلى في تبَّان . القاموس : التبَّان (كزمان) سراويل صغير يستر العورة المغطاة . وأثبت كافتعل : لبسه .

الواساس : ورأيت تبَّانا يلبس تبَّانا ، وهي سراويل صغيرة . وتبَّنة : ألبسه إياه .

النساء : والتبَّان (بالضم والتشديد) : سراويل صغير مقدار شبر . يستر العورة المغطاة فقط ، يكون للملاحين وقيل : التبَّان : شبه السراويل الصغير

وفي حديث عمر : صلى رجل في ثيابان وقميص ، تذكره العرب ، واجمع ثيابين .
المصباح : الثيان : فعال : شبه السراويل وجمعه ثيابين . والعرب تذكره
وتوثه ، قلته في التهذيب .

يؤخذ من هذه النصوص أن إطلاق الثيان على مانسيه الآن (لباس البحر)
سائق لا اعتراض عليه ، فقد أجمعت نصوص الكتب عليها أنه سراويل بلا ساقين
يستر العورة وحدها ، وزاد بعض الكتب أنه يكون للملاحين ، وفي النهاية
(بكثرة لبسه للملاحون) أي فلا مانع أن يلبسه غيرهم . ونسبة لبسه للملاحين
قرينة على أن يلبس في البحر ، وهذا ما أردناه من تخصيصه (بلباس البحر) وإن
كان اللفظ في الأصل عاما .

الدقار = الدقارة = الدقور = الدقورة = Culotte

التهذيب : وفي حديث عبد خير قال : رأيت على عمار دقارة وقال إني مثنون .
الدقارة : الثيان . وهو السراويل الصغير الذي يستر العورة وحدها . والمثنون .
الذي يشكى مثنته .

المخصص : أبو عبيد : الدقار : الثيان . ابن دريد : وهو الدقور .

الناج : والدقارة : الثيان ، كاللدقار بغير هاء ، وهي سراويل صغير بلا
ساق يستر العورة وحدها والدقارة يطلق ويراد به السراويل أيضا .
كالدقور والدقورة بضمهما واجمع : الدقارير .

علامة هذه النصوص أن الألفاظ الأربعة تطلق على شيئين : الثيان . وهو
الذي خصصناه (بلباس البحر) ، والسراويل مطلقا . والذي نريده هنا أن نخصص
هذه الألفاظ بالسراويل القصيرة التي لا ساق لها يلبسها النساء غالبا ، وقد يلبسها
الرجال ، وهي غير الثيان الذي يلبس عادة عند التجرّد على شواطئ البحار . ويسمى
هنا في بعض اللغات الأوروبية (Culotte) .

معطى السقا



ثانياً

من مقتضات

التحقيق

المحتمل في الأدوية المفردة

تأليف

الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول

الغساني التركماني صاحب العين

المشتوفى سنة ٦٩٤ هـ

صححه وفهرسه

مصطفى السقا

الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض (مابقا)

[حقوق الطبع محفوظة للناسخ]

شركة مكتبة وطباعة مصطفى الباني الرياض وأولاده بصير
من مرسوم ملكي وشهادة خاتمة

مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية من كتاب «المُعْتَمَد» في الأدوية المفردة «تُدبِعها» من وَرَدَادِ النَّفَاسِ القَدِيمَةِ شَرَكَةِ مَكْتَبَةِ وَمَطْبَعَةِ مَصْطَفَى الْبَابِي الْخَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِالْقَاهِرَةِ ، وَصَدَرَتِ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْهُ سَنَةَ ١٣٢٧ هَجْرِيَّةً عَنْ شَرَكَةِ آلِ الْخَلِيِّ أَنْفُسِهِمْ ، الَّتِي عُرِفَتْ بِدَارِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى ، وَعَنْ مَطْبَعَتِهِمْ الَّتِي وَسَّيَّتْ بِالْمَطْبَعَةِ الْمِصْنِيَّةِ .

وَكِتَابُ «الْمُعْتَمَد» هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ ، وَأَجْمَعِهَا لِلْمُفْرَدَاتِ الطَّبِّةِ ، بِمَعْرِفِ قِيَمَتِهِ مِنْ قَرَأِ مَقْدَمَتِهِ مُؤَلِّفُهُ الْمَلِكُ الْعَالِمُ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَسُولٍ فَقَدْ اخْتَصَرَهُ مِنْ أَهَمِّ الْكُتُبِ الْجَامِعَةِ لِلْمَادَّةِ الطَّبِّيَّةِ ، وَحَسِينًا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْوَلِهِ كِتَابَانِ خَصَصَ كَثِيرًا مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي مَادَّةِ الطَّبِّ ، بِأَعْظَمِ الثَّنَاءِ ، لِعِزَّةِ مَا دَنَسَها ، وَعَمُومِ النِّفْعِ بِهَما ، وَحَسَنِ تَرْتِيبِهما :

أَوَّلُهُمَا كِتَابُ «مَنَاجِزِ الْبَيَانِ» ، فِيمَا يَسْتَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ «لِشَيْخٍ مِنْ أَجَلِّ شَيْوُخِ الصَّنَاعَةِ الطَّبِّيَّةِ» ، وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ جَبْرِئَةَ الطَّبِيبُ الْبَغْدَادِيُّ ، الْمُتَوَفَى عَلَى مَا حَكَاهُ ابْنُ خَلِّكَانَ سَنَةَ ٤٩٣ هَجْرِيَّةً . وَهُوَ يُمَثِّلُ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الثَّقَافَةُ الطَّبِّيَّةُ ، فِي تَجَمُّعِ الْأَدْوِيَةِ : مُفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً ، فِي الْقُرُونِ الْخَامِسِ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ . وَتَرْتِيبُهُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُجَانِبَةِ كَتَرْتِيبِ «الْمُعْتَمَدِ» .

وِثَانِيَهُمَا كِتَابُ «الْجَامِعُ لِلْمُفْرَدَاتِ الْأَدْوِيَّةِ وَالْأَغْذِيَّةِ» ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَالِقِيِّ الْعَشَّابِ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْبَيْطَارِ ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٤٦ هـ . وَهَذَا الْكِتَابُ مِنْ أَيْبَا جَلِيلَةٍ تَجْعَلُهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(١) فِيمَا : أَنَّهُ أَغْزَرَ كُتُبَ الْمُفْرَدَاتِ مَادَّةً ، لِأَنَّهُ جَمَعَ الْمَعْرُوفَ مِنْهَا مِنْذُ أَكْثَرِ عَصُورِ التَّأْلِيفِ فِيهَا عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ ، إِذْ أَنْ تَعَاوَرَهَا الْعَرَبُ فِي الْعَصْرِ الْعِلْمِيِّ تَرْجَمَهُ ، ثُمَّ تَحَرَّرَهُ ، ثُمَّ تَحْقِيقًا وَتَأْلِيفًا ، فَتَقَرَّأَ فِيهِ مَا كَتَبَهُ الْيُونَانِيُّونَ مِنْذُ عَصْرِ مَطْلَعِهِمُ الْأَوَّلِ دِيَسْقُورِيدُسُ الْعَيْنُ زَرْبِيُّ الشَّاهِي الْيُونَانِيُّ ، إِلَى جَانِبِ مَا كَتَبَهُ عَلَيْهِ جَالِينُوسُ الطَّبِيبُ الْيُونَانِيُّ الْمَشْهُورُ . وَهَذَانِ الْفَاضِلَانِ هُمَا أَشْهُرُ

من تفجرت منهم ينابيع المعرفة لم كتب في المادة الطبية من اليونانيين وغيرهم ،
وعنها أخذ أطباء العرب والنصارى واليهود والشريان والمسلمين . ثم نجد
في مؤلف ابن البيطار إلى كل ذلك تجارب الخلود والمصريين القدماء ، فوق
ما أضافه وحققه أطباء الإسلام ، كالرازي وابن سينا من المشاركة ، وكان
جُلُّهم وابن وافد والغافقي من الأندلسيين . وبهذا كان كتاب ابن البيطار
جامعا لما لم يجتمع في غيره من أصول المادة الطبية في تأليف المشاركة .

(٢) ومنها : أنه جامع بين الترجمة والتحقيق العلمي . فكثيراً ما يتعقب
المترجمين لكتاب ديسقوريدس في تسمية النباتات وأوصافها ، ويصحح أخطأهم
في وصفها واستعمالها ، ومقادير ما يؤخذ منها في العلاج ، وما يستدل بها
إذا عُدَّت . فقد أعانته منهجه التجريبي على ألا يسلم بأقوال السابقين من
المترجمين حتى يرى النباتات في موطنها . ويتحقق من أعيانها ، ووصفاتها ،
وتجربتها ، مقتدياً في ذلك بإمام هذه الصناعة الأعظم ، ومُشْرِعِها الأول :
« ديسقوريدس » ، ولذلك رحل ابن البيطار رحلة علمية موفقة ، استوعبت
بلاد الأمازيغ والروم . ورأى النباتات بعينه كما تتبعها أستاذة الأول في موطنها
ورآها ، فوصفها ورسمها في كتابه « الحشائش » وبين طائعتها وقواها . وكان
لسعة معارف ابن البيطار ، وتحققه من نباتات الأندلس ، على كثرة صروبها
 وأنواعها واختلاف طبائعها ، وما عاينه من النباتات في بلاد الأمازيغ والروم
 والشام ومصر . أكبر الأثر في تلك المآخذ والاستراكات الكثيرة المبثوثة
 في مصنفه الجامع ، استندرَكها على المترجمين أولاً ، ثم على من تبعهم من المؤلفين
 آخراً ، ولم يسلم من نقده المغاربة ولا المشارقة ، حتى ديسقوريدس نفسه .

(٣) ومن مزاياه أيضاً : جمعه بين فروع المادة الطبية : الحيوان والنبات
والحصاد ، على حين أن أكثر المؤلفين قبله يخصصون بالتأليف كل نوع منها ، وقل
من جمعها في كتاب كابن سرتولة في منهاج البيان .

(٤) ويمتاز كتاب ابن البيطار آخر الأمر بالترتيب السهل على حروف
أ. ب. ت. ث. . الخ بحسب الحرف الأول من الكلمة ، كترتيب المعاجم
اللغوية الحديثة ، ويشاركه فيه ابن جرلة في منهاج . وهذا الترتيب أيسر على

من حيث ترتيب المواد بحسب حروف أبجد ، هوذا ، د ، هـ ، الخ ، كما في
 كتاب لابن سينا ، أو بحسب أنواع الأمراض وحاجتها إلى أنواع العلاج ،
 كما في كتاب ابن سينا ، أو كما في تصنيف أو صنف قليل أو أكثر في كتاب ، أو في تصنيف
 على عدة هذه المقسمة ، فقد اختصره مؤلفه من الكتب التي أشار إليها
 في تصنيفه ، وألحقها بكتاب الجامع لابن البيطار ، مستوعبا لأكثر ما فيه
 من الأدوية ، وألحقه بكتاب براتون العلاج ، ولا يختلف عنه إلا في غير الأقوال
 والحرر على أصحها ، فقد كان حرصا على انتخاب أصح الأقوال مما تضمن
 فيه علماء الطب التي برأول الصناعة عملا ، لا الباحث الذي يفتي بصحة
 أو بغير الصحة .

من حيث أنصاف إلى مختصرة من جامع ابن البيطار ، أو إلى مقتضاة ، وذلك
 في كتاب في العلاج ، من منهاج البيطار ، ومن أيدل الزهرلوي ، وابن
 البراءة ، والشمسي ، مما جرى عليه العمل والتجربة عند حذائق الأطباء ،
 وذلك كتاب من أول خلاص ، المعتمد ، الجامع بين الدراسات النظرية ،
 والتطبيق العملية ، فكان من أحسن النسخ التي جمعتها بين العلم والعمل
 في العلاج والتدبير .

من حيث ترتيب مواد وفعل ترتيب أصحبه الكثير من منهاج ابن جرزة ، وجامع
 ابن البيطار ، وهو كذلك أشبه بالجامع الحديث الترتيب .
 وقد عرفت ذلك بملحق تحت المؤلف ، أو بعض المؤلفين من أبحاث أصحبه
 من غير ذلك الطبية ، وتضمن ما لا يستطيع عليه أهل الفن ، وهو غير من
 علم الطب من وجهي البحث النظري والعمل جميعا .

نسخنا المعتمد

هذا الطبعة الأولى من « المعتمد » منذ ١٩٢٥ سنة ، ولا تعلم شيئا عن
 أصله ، إنما اعتمد لطبع هيلند ، وأكبر الظن أنه أصل منشوخ من إحدى
 نسخ الطبعة الأولى ، بل إننا نرى في بعض النسخ أن بعض الألفاظ قد
 تغيرت ، كما في « الطب » ، لأنها مناهيدان تمام المشابهة للطبعة الأولى ، في جميع
 النسخ ، ولا تكادان تختلفان عنها إلا في بعض الألفاظ غير الناصح من
 بعضها ، والآخر ، والألف وضع القهر من الملحق بأجزاء المفردات عند أهل
 الطب ، في الطبعة المنشوخة في آخر الكتاب ، وهو موضوع فيها في عشرة .

ونشرت مع النسخة الأولى في كثير من الخطأ الذي وقع بأيدي الناصحين
كما أنشأت مكان في مواضع الخرم التي نبه عليها في ذيل صفحات المطبوعتين الأولى والثانية
وقد عارضت الطبعة الأخيرة من المعتمد على هاتين النسختين ، وأصلحت
كثيرا من مواضع الخلل التي تبينت لي ، مستعينا على ذلك بالجامع لابن البيطار ،
والمناهج لابن جرلة ، وغيرهما من مراجع المادة ، كالقانون لابن سينا ،
ونهاية الأرب للنويري (١١ ، ١٢) ، وتذكرة أولى الألباب للشيخ داود
الأنطاكي ، ومعجم اللغة كاختصاص لابن سيده ، والقاموس المحيط
للنوروزي ، وتاج العروس للزبيدي ، ومعجم أسماء النبات للمرحوم
الدكتور أحمد عيسى بك .

وعُني في هذه الطبعة بضبط ما يشبه أو يغمض من الكلمات في تراجم
المواد ، وفي أثناء الشروح ، لكثرة الألفاظ اليونانية واللاتينية والأسبانية
والبربرية . بلغة السريانية والعبرية ، والفارسية والهندية ، في أسماء المواد
الطبية ، مما هو غريب على أهل العربية .

وقد عملت للكتاب فهرسا عاما يحوى جميع مواد الكتاب ، مرتبة ترتيبا
حرفيا ، على حسب ما رتبها المؤلف ، ولم يعمل مثله في الطبعة الأولى .
أما الملحق الخاص باصطلاح أهل اليمن في تسمية بعض المقدرات الطبية ،
فقد وقع فيه كثير من التخليط والخلل ، فنُقلت فيه كلمات من مواضعها
في حروفها إلى مواضع أخرى في غير حروفها . وكور شرح بعض الألفاظ
في أكثر من موضع ، وبصور مختلفة ؛ ذلك إلى ما شاع فيها من التصحيف
والتحريف والخطأ الذي خرج بأكثرها عن صورتها الأصلية إلى صور مشوهة
تنكرها المعاجم والمراجع المختلفة ؛ وقد تيسر لي رد أكثرها إلى أصله . وضبطه
ضبطا دقيقا ، ووضعته في مكانه الطبيعي من الترتيب الحرفي المعجمي .
أما ما ألم أهد إلى معرفته ، فقد أيقنته على صورته في المطبوعة الأولى والمخطوطتين
رجاء العثور في المستقبل على نسخ مخطوطة أقدم وأصح من التي عثرنا عليها .
ولست أشك في أن هذا الفهرس : إن صحت نسبته إلى مؤلف الكتاب ، فقد
عشت به أيدي النساخ من بعده عشتا كثيرا ، تكبر معارفه ، وغير معالمة .

مؤلف المعتمد وأسرته : بنو رسول

هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني
 ولد له في دولة الرشدية ، التي حكمت اليمن من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٨٠٣ .
 كانت عليه الأسرة ، على ما فصله الخزرجي الرندي في كتابه . المعتمد
 في تاريخ الراجح الدولة الرسولية إلى الغسانيين من بني جفنة ، الذين جئوا
 من اليمن إلى الإسلام عند غراب السد . وسكنوا الشام . وملكوا عليها
 من جهة طرط الروم . وكان آخرهم جيلة بن الأيهم . وقصة إسلامه في خلافة
 عمر بن الخطاب . وقد لحق بالشام ثم بلاد الروم وحل فيها .
 وكان من أبناء جيلة . فقد بقيت ذريته في الروم مدة ، ثم انتقلوا إلى
 بلاد الشام . مع فريق من أقوامهم . وتكلموا بلغتهم . وبعثوا عن العرب
 فأنقذوا منهم . وهم مقيمون على أنسابهم . ثم خرجوا إلى العراق .
 فأنقذوا منهم إلى غسان . ونسبهم من لا يعرفهم إلى التركمان .

هو محمد بن محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن
 جليل القدر ، فخره الخليفة المستنصر العباسي . وأنس به .
 في الشام . وإلى مصر . فأطلق عليه لقب رسول . وشهر
 له في الخلق حتى جهل . فلا يعرفه إلا قليل من الناس .

هو محمد بن هارون بن العراق إلى الشام . ومن الشام إلى مصر فيمن
 ولده . وكانوا خمسة رجال . عرفوا كلهم بالشجاعة في الحرب .
 وحسن الرأي في السياسة . كما عرفوا بالطموح وعلو الهمة .
 فاستولى الملك لبني أيوب في مصر . عرفوا لبني رسول أقدارهم .
 فاستولوا على أملاكهم . وعزموا على أن يسلموا إليهم حكم اليمن . نيابة
 عن أملاكهم . فاستولوا عليها سنة تسع وستين وخمس مئة . مع الملك المعظم توران شاه
 . وملكوا أمقيمين بها على الولاة لبني أيوب والإخلاص في طاعتهم
 . حتى انتشر ذكركم في اليمن . وتولوا الولايات

ولما توفي الملك المسعود الأيوبي ، ضيقت البلاد بعده السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول (وهو والد المؤلف) وأسس الدولة الرسولية ، التي حكمت اليمن من سنة (٦٢٦ - ٨٠٣ هـ) .

وقد عاصرت دولة آل رسول دولتي بني أيوب والمماليك البحرية إلى أول دولة المماليك الشراكسة في مصر . ونشبت بأبطال الدولتين في حب الرعية وبرها ، وإدراج الخيرات لها ، ولما كان رجالها رجال حرب ، حاضوا كثيراً من المعارك ، وأطشوا كثيراً من الثمن ، ورعوا حتى الأمة في النصح والاضطلاع بشئون الدفاع عن بلاد الإسلام ، فكان لهم خيل مربية لحماية الثغور في مصر وغيرها . وأبنتى رجالهم ونساؤهم مدارس كثيرة للتعليم . وأجوا العلم والعلماء وقربوهم وأعانوهم على نصح العامة وإرشادهم إلى أقوم السبل ، وثبتوا الأمن في نصابه . واشتهر كثير منهم بالنصاحة ونظم الشعر ، ونعمت كثير منهم في فنون العلم ، واشتهروا بتأليف متعة .

ولاشك أن واسطة عقد بني رسول هو الملك المظفر يوسف ، مؤلف هذا الكتاب وكان ملكاً شجاعاً ، حسن التدبير في الحروب ، كما كان سياسياً راحب اليأس ، ذلك إلى اتصافه بخلال أخرى نفسية وعقلية رفعت مكانه علياً كالفصاحة ، والتبحر في العلوم ، وخاصة الطب .

قال الخزرجي (١ : ٢٧٨) : « لما افتتح (الملك المظفر) مدينة طنطا ، ذكر في كتابه إلى الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر أنه يحتاج إلى طبيب لمدينة طنطا ، لأنها بيئة . وقال : ولا يظن المقام العالي أننا نريد الطبيب لأنفسنا ، فإننا نعرف بحمد الله من الطب ، ما لا يعرفه غيرنا . وقد اشتغلنا فيه من أيام الشيعة اشتغالا كثيراً . وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب ، وله كتاب الجامع ، ليس لأحد مثله » .

توفي الملك المظفر على ما قاله الخزرجي سنة ٦٩٤ هـ ، وعمره أربع وسبعون سنة ، قضى في الملك مئاساً وأربعين سنة .

القاهرة في { ٢٢ من رمضان ١٢٧٠ هـ
٢٧ من يوليى ١٩٤١ م } مصطفى السقا
أستاذ بكلية آداب (جامعة نواكشوط الأولى)

مقدمة

وصف المعجم ، وبيان قيمته العلمية ، وتاريخه

هذا مُعْجَمٌ مَالِشْتَعَجَمٌ من أسماء المواضع والبلاذ ، لأبي عبيد البكري . وهو معجم لغوي جغرافي ، يَصِفُ جزيرة العرب ، وَيَقَرِّئُ ما بها من المعالم والمُشَاهِد ، والبُلْدَان والمُعَاد ، والآثار والحِافِد ، والمُتَاوِل والمُؤَاد ؛ وَيَنْتَبِغُ هِجْرَةَ القِبَالِ العربية من أوطانها ، واضطرابها في أعطائها ، وترددها بين مصابفها وسرايها ، ومبَاديها ومُخَاضِرها ؛ ويذكر أيامها ووقائنها ، وأنسابها وعشائرها .

وهو أثر نفيس من صميم التراث الأدبي والعلمي ، يُمَا خَلَقَهُ العرب إِبَانُ نُضْجِهِم العِلِّي ، وارتقائهم العِلِّي ، ولا نكاد نجد له نظيراً في معاجم البُلْدَان ، التي وصلت إلى أيدينا سليمة من أحداث الزمان ، فهو يَبْذُها جميعاً : غِزَارَةُ مَوَاد ، وكثرة تفاصيل ، واكتمال عناصر ، ودقة مناهج ، وتمام ضبط ، وجمال أسلوب ، وتحرير عبارة .

سبق البكري إلى التأليف في جغرافية جزيرة العرب ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهَمْدَانِي النُبَينِي ، المعروف بابن الحائك ، المتوفى بضماء من الحين سنة ٣٣٤ هجرية ، وكتابه « صفة جزيرة العرب » ، الذي نشره المستشرق مولر سنة ١٨٨٤ بمطبعة بريل بأيدن ، من أنفُس كُتُب الجغرافيا القديمة : اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة ، وما عاينه في أثناء رحلاته في جزيرة العرب ، لا على النقل من الكتب ؛ لكنه مع هذه المزية الظاهرة ، لا يبلغ مبلغ معجم البكري ، لشدة إيجازه . وقلة تفاصيله ، إلا فيما يخص جغرافية بلاده ، وهي القسم الجنوبي من جزيرة العرب ، فقد حشد له كل جهوده ؛ ولأنهم لم يَرْتَبِ كتابه ترتيب المَاجِم ، وإنما رتبته على أبواب وفصول . على أن البكري قد اقتنع من كتاب الهَمْدَانِي هذا كثيراً ، فكان من مصادره السُّمُة ، ينقل عنه ، ويستند إليه ، وخاصة إذا أظلم ليل الشبهة وغامت سماء الشكوك . وعن ألف بعد البكري مُعْجَمًا عاميًا في البُلْدَان وذكر جزيرة العرب ، ياقوت بن عبد الله الروي الحموي . (٥٧٢ - ٦٣٦ هـ) صاحب معجم البُلْدَان ، وهو من أجل هذه المعاجم خطراً ،

وأعظمها قدراً، ومن أحسنها ضبطاً، وأحفظها مادة، وأعمها فائدة، إلا أنه مع كل هذه
 الخائص لا يوازن معجم البكرى في ضبطه وتحريته؛ فإن البكرى لمؤلفه دقيق الحس،
 كامل الأدب، من النحو، والصرف، واللغة؛ وزياد من علوم الرواية: الأشعار، والأخبار،
 والأنساب؛ إلى علوم الدين: الحديث، والتفسير، والفقه، وغيرها من أطراف الثقافة
 الإسلامية. كما أنه لا يفوقه استيعاباً وإحاطة؛ وهو أمر يبدو غريباً، ولكنه الحقيقة
 سافرة: فإن معجم البكرى ليس من المعاجم العامة للبلدان، وإنما هو معجم لدوى
 خاص: بتحقيق أسماء المواضع التي وردت في الشعر العربي، وفي الأحاديث، وفي كتب
 السير، والتواريخ القديمة، وأيام العرب، وما إلى ذلك؛ فهو في هذا النوع الخاص،
 أكثر جماً لأسماء المواضع العربية، من معجم البلدان لياقوت. وكما عرفت عند البكرى،
 بل عند المحدثين، على أسماء البلدان وأماكن، لم أجد لها عند ياقوت، لأن معجم ياقوت
 معجم عام في الجغرافيا: يصف البلدان المشهورة، في أرجاء المعمورة.

أما غير المحدثين وياقوت من أصحاب كتب الجغرافيا، فليس ينبغي أن أقف هندهم،
 موازناً بين البكرى وبينهم، فقد ظهر فضله على جميعهم، يتفوقه على رحمتهم؛ وكفى
 بالمحدثين وياقوت علمين، ومؤلفين رئيسين.

أخص مزاياء معجم البكرى كصفات الضبط: فإنه لهذا الغرض ألف، وقد أبان هو
 عن ذلك في مقدمته، إذ رأى كثيراً من أسماء البلدان التي ترد في الأحاديث والأشعار
 والسير والتواريخ، قد دبت إليها الضعيف والتحريف، وضرب لذلك أمثلة كثيرة؛
 وكان هذا التحريف داء قديماً، لم يسلم من آفته حتى أئمة الرواة وكبار العلماء، كالأصمعي
 من علماء اللغة، وزيد بن هارون من المحدثين، ففراعه ذلك، وأوحى إليه بتأليف كتابه.
 والبكرى بضبط الكلمات بالمعارة لا بالحركات، وهذه إحدى مزاياه، ولولا ذلك
 لأختل المعجم، وضاعت قيمته، ولم يسلم من شوائب التحريف، التي ذهبت بكثير من
 محاسن غيره.

ويعول المؤلف في الضبط على الشعر العربي أولاً، يأتي بالشعر الذي ورد فيه اسم
 المكان، ويستند إلى الروايات التي نقله من العلماء، ويوازن بين الروايات، ويرجع رواية

كتبها وراقوم المعروفون ، أو تلاميذهم المبرزون ، وقرءوها عليهم : وقد اجتمع للبكرى من
الكتب ذوات الخطوط المنسوبة ، والأسول المصنوعة ، شي كثير ، من كتب أبى على
القال التى دخل بها الأندلس ، ومؤلفاته التى عليها خطه أو سماع التلميذ ؛ ومن كتب غيره
من العلماء ، كالأصمعى ، وأبى ابن أخيه عبد الرحمن ، أو أبى حاتم السجستاني : ومن كتب
أبى عبيد ، وابن دُرَيْد ، ونفعلة بن ، وابن الشكيت ، والشكوت ، والمندان ، والأحول
والأزم ، وغير هؤلاء من الأعلام الذين لا يوجد فى أيدينا من كتبهم الآن إلا التبرز البسيط .
وكان يعتمد فى الحديث على روايات الكتب الصحاح ، وخاصة الموطأ ، والبخارى ،
وسنن أبى داود ؛ وينقل كثيرا من الأحاديث عن ابن وهب وابن القاسم من شيوخ المالكية .
وينقل عن ابن إسحاق صاحب السيرة ، وعن أبى جعفر الطبري . ويصحح ما وقع
فى كتب أولئك هؤلاء من تحريف فى أعلام البلدان ، ويخرج من المنة منصورا فى
أكثر الأحيان .

ومعهم البكرى قليل الحشو والفضول : فلك أنه لم يكن مما يئنيه أن يذهب منه
ياقوت ، فى قياس طول البلد وعرضه ودرجة حرارته ، وذكر مياهه ونباته وحيوانه ومشاهده
وأقاربه وأسواقه ، فإن كل هذا مما يناوله البحث الجغرافى الطالع ؛ أما البكرى فقد
حدّد غرضه فى مقدمته بأنه أنوى بنيت ، يقوم على الصيقل وتصحيح الأسماء أولا ، لا على
جمع الأخبار ، ولذلك قلّ تعرضه لكثير مما يتعرض له الجغرافى المتخصص ؛ ولم يكن
كذلك مما ينبغي أن يذكر العلماء الذين خرجوا من كل بلد ، مما أطال فيه ياقوت وأسهب ،
وهو إن لم ينل من فائدة إلى الحشو أقرب ، لأن لمعرفة الرجال كتبنا خاصة ، وقد غاب
بذلك صاحب كتاب « مرآة الاطلاع » ، على أسماء الأسماء والبقاع » ، الذى اختصر
مفهم البلدان ، بعد حذف فضوله وحشوه ، فى نحو تلك صحافته .

وليس فى جمع البكرى ما يئيب به عند الشارقة ، سوى ترتيبه بترتيب حروف الهجاء
عند العاربة على هذا النحو : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز
ط ظ ك ل م ن ه ص س ع غ ف ق ي ش ه و ي
ولكن مما يئيب به عند جمع الناس أنه جعل ترتيب الكلمات فى كل باب على
ترتيب الحرفين الأول والثانى الأصليين من الكلمة ، دون نظر إلى ترتيب ما دهم من

الحروف . وإذا كان الحرف الثاني ألفا زائدة كآلف صاحب وفاضل ، أهمله ولم ينظر إليه ، واعتبر الحرف الثاني ما بعد الألف ، وفي هذا ما فيه من الثمر والتكليف . ولذلك يضطر الباحث عن كلمة في حرف من الحروف أن يقلّب صفحات المعجم في هذا الحرف ، حتى يعثر على صالته بالمصادفة ، لا بأن يطلبها في موضعها الذي ينبغي أن تستقر فيه ، بحسب نظام الفهرسة الدقيقة لألفاظ المعاجم .

ولذلك كان من عمل في هذا المعجم أن عُدّت وضع مادته ، ورتبتها على حسب ترتيب حروف المعجم في المشرق ، وعلى ما يقتضيه نظام الفهرسة الصحيح ، وذلك بترتيب حروفها بحسب صورتها ، لا بحسب جوهرها ومادتها ، فليس مما ينبغي الباحث أن يكون الحرف أصليا أو رائدا ، وإنما يعنيه أن يكون موضع الكلمة التي فيها حرف الألف قبل موضع الكلمة التي فيها حرف الباء ، وهذه قبل التي فيها حرف التاء ، في أي مكان وقع الحرف من الكلمة . كما يعنيه هذا الترتيب نفسه في الأحرف التي بعد الحرفين الأولين ، وبهذا تأخذ السكّلات أو صاعا طبيعية مسلسلة ، تهتدي فيها العين إلى موضع البحث من المعجم بسرعة ، وبالنظرة العجلى والخاطفة ، دون كد الذهن في قواعد الأمانة والزيادة ، أو الاعتماد على الفهارس والملاحق وما إليها ، فإن ذلك مما يصرف النفس عن الاستفادة من الكتاب إلى غيره مما هو أسهل منه وضعاً . وكما رأيت من فضلاء الباحثين من يصرفه تعقيد كتاب القاموس المحيط للفيروز آبادي ، عن الاستفادة من جواهره وآلائه .

وعلى الرغم من هذا تآلق العلماء المسلمون قديما وحديثا معجم السكري بالقبول ووثقوا صاحبه ، وزعموه مكانا عليا ، فوق اللغويين وأصحاب المعاجم ، واعتمدوا عليه في تحقيق المشكلات ، خصوصا علماء المغاربة والأندلسيين ، من المحققين والأخباريين ، ومن أشهرهم القاضي عياض (٤٧٩ - ٥٤٤) في مشارق الأنوار ، والسّهلي (٥٠٨ - ٥٥٨) في الرّوض الأثّر ، فقد فلا عنه كثيرا في كتابيهما . أما أصحاب المعاجم اللغوية ، فمعجم السكري كان عندهم أعظم أصولهم ، في تحقيق أعلام البلدان العربية وخطبها ، وأكثر من اشتهر به منهم الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨٨١٧) صاحب القاموس ، والزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥) صاحب تاج العروس ، وشيخه محمد بن الطيّب النّاسي (١١١٠ - ١١٧٠) صاحب الحاشية على القاموس ، وكثير غير هؤلاء .

وفيهما ذكرنا المعاجم اللغوية من أسماء المواضع ، فقد بقي في معجم السكري بعد ذلك كثير من أعلام الأمكنة ، لم نحوه معاجم اللغة ، مع أنه من صميم المادة التريية ؛ ولذلك كان الكتاب ولا يزال مرجعا مستقلا يُقدِّره العلماء الباحثون حتى قدروا .

والعلماء المستشرقون من الغربيين ليسوا أقل تقديرا لهذا المعجم من المشاركة ، فقد أبان العلامة دُورِي المولندي عن منزلة معجم السكري في كتابه : مباحث في التاريخ السياسي والأدبي لأسيانبا في المعصور الوسطى (الجزء الأول ، الطبعة الأولى بليدن سنة ١٨٤٩ من ٣٠٤ ، ٣٠٥) إذ يقول مالمخصه :

« إن المعجم فريد في بابه ، فليس لدينا كتاب يمكن أن يُوازَن به من ناحية السعة ، أو من ناحية دقة التفاصيل . فهو يحتوي على عدد ضخم من أسماء الأماكن والبلاد والجبال والأنهار والنبات ، مرتبة بترتيب الحروف الهجائية عند أهل المغرب ، مما يرد ذكره في الروايات العربية القديمة ، وفي أحاديث الرسول ، وفي الشعر على الخصوص . والمؤلف ينبه على ضبطها وتحديد أما كتبها ، ويقفيس كثيرا من الأشعار التي ورد ذكرها بها . ولا شيء أجلب للعناء ولا أروع إلى الضبط ، من أسماء المواضع والأماكن التي ترد في الشعر القديم . والكتاب يقدِّم مئة لا تقدر في هذه السيل ، ولا غنى عنه لسلك من يدرس التاريخ والشعر القديمين ، والجغرافيا والوثائق التاريخية أو الشبهية بالتاريخية .

وأقول أخيرا ما قلته أولا : إن هذا الكتاب فريد في بابه ، إذ أن كل ما بقي لنا من هذا النوع ضئيل هزيل ، غير دقيق في معظم الأحيان ، إذا وُوزن بهذا الكتاب الجليل ، المليء بالتفاصيل الشائقة العربية ، والذي أنفه مؤلفه مستعينا بأصول ممتازة ، تكاد تكون اليوم مفقودة .

ومؤلفه أدب وجغراف ، كان جديرا بكل الجدارة باقيا هذه المهمة الشاقة ، فإن غيره من الجغرافيين يُكَرِّسون الأخطاء فوق الأخطاء ، ويأتون بالتناقضات بعد التناقضات ؛ فلما أخذت اسم مكان ورد في قصيدة قديمة ، وحاولت البحث عنه في أي كتاب — خلا ما مرصداً للاطلاع ، على أسماء الأمكنة والبقاع — فإنه في هذا الباب فوق كل نقد — ونرضي بذلك وجدت الاسم فيه ، وذلك نادر ، ووازنت بين ما يقوله ذلك الجغرافي في كتابه ، وما يقوله السكري ، فإني نجد في الغالب أن المعلومات التي يأتي بها الأول خطأ كلها ، أو قل : مختلطة

مهمومة ، على حين أن المعلومات التي يأتي بها السكري حبيحة مفصلة ، وواحدة ناصعة .
ويزيد في قيمة هذا الكتاب مقدمته التي يبين فيها المؤلف حدود بلاد العرب ،
وأقسامها الجغرافية : نهبانة والحجاز ونجد واليمن ، كما تحدث فيها عن القبائل العربية ،
التي استقرت في هذه الأقسام ، وأرجع تنقلاتها ووقائعها وأيامها .

أما المستشرق فرديند ستندل (١٨٢٨ - ١٨٩٩) صاحب الفصل على المكتبة العربية ،
يا نشر من نفائسها ودخائرها ، مثل منبر البلدان لياقوت ، والسير لابن هشام ، والاستبصار
لابن دريد ، وكثير غيرها من أمهات الكتب ، فقد انتفع بتقدير العلامة دوزي للكتاب ،
وأقبل عليه بدرسه ، ويستجلي عحاسه ، وأحدثه مقدمته ، فترجمها كلها إلى الألمانية ،
وأشأ على أساسها بحثا مهما في أماكن القبائل العربية وتنقلاتها (وقد طبع كبحث
مستخرج من المجلد الرابع عشر لأعمال الجمعية الألمانية للعلوم سنة ١٨٩٩) .

ثم أتت عناية إلى نشر المعجم ، فراح يجمع له الوثائق ، ويقابل نسخه التي كتبها
بالنسخ المفرقة في مكتبات لندن ، وكمبريدج ، ولندن ، وميلان . واستخلص بالاعتماد
على هذه النسخ الأربع صورة كتبها بخطه ، وأذاعها بمطبعة الحجر . Lithographie ،
في مجلدين كبيرين من القدر المتوسط ، بلغ مجموع صفحاتها مع المقدمة وال فهرس أكثر من
٩٠٠ صفحة ، صدر المجلد الأول منهما سنة ١٨٧٩ ، والثاني سنة ١٨٧٧ بموتج من ألمانيا .
وقد بذل ستندل قصارى جهد العالم الضائع ، في الضغط والتحرش ومقابلة النسخ ،
والاستبصار من الأصول . وأضاف إلى الكتاب فهرسة شاملة للعواضع التي وردت فعدا
في أماكتها ، وعرضا في غير أماكتها مرتبة على حروف الهجاء بطريقة أصل المشرق ،
بلغت سبعا وخمسين صفحة ، ومقدمتين للإعراب في اثنتي عشرة صفحة ، وبلغ في كل
ذلك زمنا طويلا ، بل عمرا مديدا .

لكن النسخ التي اعتمد عليها العلامة ستندل ، كما وصفها في مقدمة الجزء الأول
لبست مشوية في درجة الصحة ، ولأفي استيفات المائة . ولما خلت من اضطراب ،
كما كثر النسخ الموجودة في العالم من هذا الكتاب .

ولذلك وقع في مطبوعته شيء كثير من التصحيف والتحريف ، والزيادة والنقص ،
ولذلك وقع في المطبوعته شيء كثير من التصحيف والتحريف ، والزيادة والنقص ،

الحجر ، وأغفل مقابلات النسخ ، لأنه اعتبرها طبعة مؤقفة يستفيد منها العلماء في بحوثهم
فائدة سرية ، إلى أن يحصل على أصول أخرى غير تلك ، أتم ضبطها ، وأوضح خطأ ،
وأكثر تفصيلا ، تعين على نشر الكتاب وإداعته في طبعة بقطعة الحروف ، كما فعل في
معجم البلدان والسيرة والاشتقاق وغيرها . هذا إلى أنه أبقى المعجم على ترتيبه الذي وضعه
عليه المؤلف ، وهو وضع غير مأثوف عند المشارة ، لاختلاف ترتيب الحروف المجانية في
الغرب ، عنها في المشرق . وذلك كان مصدر عناء للباحثين في طبعة جوتيجن من المشارة ،
فلم يقل عليه إلا الأقرون ، رغم أن الناشر قد أضاف إليه فهرسة على ترتيب أهل
المشرق للحروف .

وقد حفز في الإعجاب بمعجم السكري ، أن أبحث إبان الحرب ، عما يوجد من مخطوطاته
بمصر ، فقتعت فهرسها بحامدة فؤاد الأول ، ودار الكتب المصرية ، وخزانة الأزهر ،
وغربها ، فطرت على ثلاث نسخ منه ، اثنتين بدار الكتب ، ونسخة بالأزهر ، وكلها
يمتاز بحظ موفور من الضبط ، والوضوح ، وجمال الخط ، وإن لم تستوف استيفاء المادة ،
فأقبلت عليها بحثا ودرسا ، ومقابلة وموازنة ، إلى أن وضح لي أنها في مجموعها أقدم زمنا
وأحسن ضبطا ، وأتم تفصيلا ، من النسخ التي عنر عليها العلامة وستفلك ، وأنه يمكن
أن ينفع بها كلها في تصحيح الكتاب ، وإخراج صورة صحيحة منه .

ولما كانت لجنة التأليف والترجمة والنشر مقتنية بنشر نقائس المخطوطات والكتب ،
عرضت أمر هذا المعجم على حضرة رئيسها صاحب العزة العالم الجليل الأستاذ أحمد
أمين بك ، فوافقني على إعادة نشره ، مطابقا للأصول المصرية المحفوظة عندنا بمصر ،
وعهد إلى في القيام بتحقيق الكتاب وترتيبه ، على أن تتكفل اللجنة بتفقات طبعه
في مطبعتها .

وما نحن أولاء جميعا نقدم هذا الجزء الأول من المعجم إلى رؤود البحث عن المصادر
العربية المتيقة ، يحنال في أبراده ووشيه ، وحلله ورزقه ، من الورق الأبيض الناصع ،
الذي طال عهد الناس بفقده ، ومن الحروف العربية الجميلة ، فوق الذي بذلناه فيه من
تحقيق وتصحيح ، لا تراها إلا الأمين المخرجة من الهوى ، مما اقتضى منا كثيرا من الجهد
الضيق ، والعناء الذي لا يقوم به إلا العبر الجليل .

الأصول المخطوطة التي اعتمدت لطبع هذا المعجم

أما الأصول المخطوطة التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب وتحقيقه فثلاثة :
الأصل الأول : النسخة الرموز لها بالحرف من ، وهي محفوظة بدار الكتب
المصرية ، ورقها ٤٠٤ جغرافيا ، محد واحد ، من أول الكتاب إلى آخر حرف الخاء ،
وجعلها أندلسي جميل ، ورقها كتابي ثخين ، أبيض ، مشرب صفرة ، تحف على
الغواش ، وتشتت تحت السطور المكتوبة ، ويكاد يكون لون الورق تحت المداد بلقا ،
وقد أدت هذه النسخة بالزوال ، لكثرة ما بها من تقطيع وترقيق ، وهي لا تحتل تقليب
الأبدي ، لشدة جفاف ورقها وتكسره ، ونحن دار الكتب صنعنا بأن نصورها ، ونحفظ
أصنافها في حجرة المعرض ، نقدمها وجمال خطها .

عدد صفحات هذا المجلد ٣٩٤ صفحة . ويؤخذ من قدر مادته ، ومن عبارة الصفدي
التي على وجهه أنه كان يتبعه سفران آخران ، إلا أنه اليوم أصبح قريدا وحيدا .
أما المجلد الآخران اللذان أضيفا إليه لتسكلة النسخة ، وكتب عليهما الرقم الذي على
السفر الأول (٤٠٤) فليس من هذه النسخة في قليل ولا كثير ، وإنما هما بقية من نسخة
أخرى ، منصفها بعد هذه ، وثبت خطأ دار الكتب في ثلثها ، بأدلة فنية ومادية
لا تحتل جدلا .

طول صحيفة هذا المجلد ٣٧ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ . وطول مسطرتها ١٩ سنتيمترا ،
وعرضها ١٣ . وعدد سطورها ٢٥ . وعدد كلمات كل سطر في المتوسط ١٤ كلمة ، وتتميز كلمات
المعجم وأحاديث الشعراء بخط كبير خبير ، بقلم الكاتب نفسه ، والمداد الأسود الذي كتب به القرآن .
وبأعلى الصفحة الأولى من الكتاب بخط كبير هاتان السكتتان :

وقف الخاصية

السفر الأول من كتاب

معجم ما استمعهم تأليف أبي عبيد

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري

رحمه الله ، وغفر له

وتحت بخط أندلسي كبير :

وتحت ذلك بنفس الخط :

وتحت ذلك بخط صغير :

وتحت :

وتحت ذلك هذه العبارة التي تتضمن تاريخ النسخ ومكانه ، وهي :

« استنسخ بمدينة مكنه حرمها الله ، من كتاب الفقيه
لفقيه الأجل الأكرم الأفصل أبي محمد عبد الله بن الشيخ المرحوم أبي الطيب عبد الملم
ابن عبد النور ، رحمه الله ، ونفع به ماله .

وكان الفراغ منه يوم الخميس التاسع عشر من رجب الفرمه عام عشرة وسائة .
ونلاحظ هنا أن بداً أئمة قد امتدت إلى اسم الفقيه مالك النسخة التي هي أصل
للسنخا هذه ، فحجته ، وصار يحمله بقدر سطر .

وتحت ذلك قربان من وسط الصفحة ، كتبت هذه العبارة : بخط الرقعة الجليل الحديث :

« مستخرج من دشت المؤبر . ومضاف في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٩١ عمرة ٧١ برمية
عمرة مضمومة : ١٨٣١ لفر
عمرة مرمومة : ٢٥٥١٥

وبلى ذلك حروف المعجم عند الماربة ، وهي التي رتب عليها المعجم ، وأملها بخط
الكتاب ومداه .

وفي أسفل الصفحة من جهة اليمن كتابة جانبية أنها : « هو وما بعده من كتب
خليل بن أبيك الصفدي » . والعبارة بخط البارخ في الجمل ، من خط عصر المماليك ،
ويظهر لي أنها خط الصفدي نفسه . وهي تشبه تعليقات كثيرة ، وطورا مكتوبة بهذا
القلم البارخ ، مشونة على هوامش الكتاب وجوانبه .

وفي اعتدال صفحة الكتاب إلى جانب عبارة الصفدي ، نحو خمسة أسطر بخط ديواني
مصرى متأخر ، بين السخى والرقعة ، قد محيت ، وبقيت معالمها غير واضحة ، وفيها بقية
من اسم المرحوم علي مبارك باشا ، أحد الوزراء السابقين في عصر إسماعيل وتوفيق . وأمل
هذه العبارة تتضمن تحضرا وإشهادا بالشور على هذه النسخة بجامع المؤيدة . واستفادها
من الدشت ، حينما كان علي مبارك باشا وزير الأوقاف والأشغال ، وله إشراف على المساجد
وإنشائه خزانها من الكتب ، وأمل على مبارك باشا تلك هذه النسخة حقبة من الزمن ،
ثم أعادها إلى دار الكتب لتحفظ فيها . وقد محيت هذه العبارة ، واكتفوا بأن كتب
بداها في وسط الصفحة بالمداد البفسجي . والعبارة : مستخرج من دشت
التي ذكرناها آما .

وخط الصفدى على نسخة هذا السفر هو الشهادة التاريخية التي لا تقبل الجرح ،
بأن هذا السفر من كتاب معين ما استمع لأبى عبيد البكرى .

ذلك إلى أننا نجد في الجانب الأيسر من الكتاب بجانب كلمة أبى عبيد ، اسم محمد بن
شيخ السلافة الحبل ، بخط موسى جهر جيل ، وهذا من شيوخ العلم الذين تركوا
شهادتهم شهادة الصفدى ، ولعله أحد من تلمذها .

وفي الزاوية اليسرى العليا شهادة أخرى بأن هذه النسخة اعتمدت للمقابلة والتصحيح ،
ونصها : قابل به ، وصحح عليه ، على بن . . . [وذهبت بقية الاسم عند التجليد] عفا الله
عنه ، وأطف به . غفر الله سبحانه لصاحبه .

وعلى هوامش هذه النسخة من الداخل إضافات بعضها بخط الناسخ نفسه ، تسكك
لنقص فاته من نفس الأصل ، أو إثباتا لمقابلة بأصل آخر ، وهى كثيرة جدا ، وكثير منها
بخط العلامة الصفدى ، كما عاينا رسم « إسمت » . وبعض هذه الإضافات استدراكات
على المؤلف ، لأنه ترك شيئا كان حقه أن يذكره ، أو تصويب نسبة شعر إلى قائله ، أو
نحو ذلك مما رام ميثونا على الهوامش .

والنسخة فى حمتها صحيحة ، وخطها واضح جميل ، إلا أنها لا تخلو من خطأ ، ورغم
الاستدراكات والمقابلات المثبتة عليها ؛ وكثيرا ما تنفق هذه النسخة هى ونسخة جوتنجر
ج التى نشرها المستشرق وسنفلد ، فى صوابها وخطها ، كما يستفاد من تعليقاتى المشتقة
فى ذيل الصفحات ، وأظن أن الأصل الذى كتبت عنه نسخة من كان أصلا ببعض
النسخ الأوربية التى اعتمدت لطبع النسخة ج .

وقد جعلنا هذه النسخة هى الأم الأولى ، التى يدور عليها محور المضاهاة والمقابلة للجزء
الأول من المعجم ، ورمزنا لها بالحرف س ، إشارة إلى المدينة التى كتبت فيها ، وهى سبتة .
وليس معنى كونها أصلا أول أنى أتسكك بلفظها حتى إذا ثبت كونه خطأ ، بل أعتمد
اللفظ الصحيح فى المتن من أية نسخة ، وأثبت نتيجة المقابلة فى الهوامش .

الأصل الثانى : النسخة ق . وهى مؤلفة من ثلاثة أجزاء ، كتب أولها فى مدينة
القاهرة بخط نسخى جميل ، من عصر الأتراك العثمانيين ، على ورق كتانى أبيض ، ناصع
مستقل ، وفتح آين . وهو محفوظ بدار الكتب المصرية ، ورقه ٥٥٤ جرافيا .

وهذا الجزء يتقدم من أول الكتاب ، وينتهي في رسم (خانخ) من كتاب حرف
الهاء ، عند قول الشاعر :

لأبصر أحياء بمخاض نصمت
بعد ذلك في أول الجزء الثاني : « وقال على من أرى طالب » . وهو في قياس
نسخة من طولاً وعرضاً وكتابة ، إلا أن مسطرته واحد وعشرون في كل صفحة .
كما أنه غلو من تاريخ النسخ ، واسم النسخ ، وليس عليه مقابلات نسخ ، ولا تصحيحات
أو استراكات ، إلا شيئاً نادراً جداً ، بخط النسخ .

وعلى الصفحة الأولى منه بخط الشيخ أحمد المنهوري ، من علماء الأزهر المتأخرين ،
تحت اسم الكتاب ، هذه العبارة : « وقف هذا الكتاب الأمير عبد الرحمن جالوش
قصد على رجل طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقررته خزانة كتابه المحفوظ أحمد المنهوري » ، على
عنه . « وبلى ذلك حروف المجهز مرتبة على طريقة النغارية ، كمتناح للمبحث في المعجم .
ويظهر أن هذه النسخة قبل أن تجلد كانت كرايس (ملازم) غير مخيطة » ، ولذلك
الغزم الشيخ المنهوري أن يكتب في رأس أول صفحة من كل كراسة بخطه ، هذه
العبارة : « وقف خزانة المنهوري بالأزهر » .

وهذا الجزء أصبح كثيراً من النسخة من ويختار بأن الإضافات والتصحيحات التي
على هامش من كتابها موجودة في ضلْب هذا الجزء ، بخط النسخ . ومن أمثلة ذلك أن
الإضافة التي زادها المؤلف على رسم البقيع ، وهي التي توجد على هامش النسختين من ز ،
وتحلو منها نسخة ج ، قد تضمنها هذا الجزء في ضلْب لافي هامشه . فيظهر أن هذا
الجزء منقول عن نسخة مصححة غاية التصحيح ، مضبوطة أكمل الضبط ؛ ومع ذلك قد
وقع فيه أخطاء قليلة ، ولعلها كلها من اشتباه الأصل النقول عنه على النسخ ، فلم
يحسن قراءته .

وفي هذا الجزء من نسخة في خرم مقدار ورقته من وجهين ، بين صفحتي ٢٧٦ ،
٢٧٩ من أول قول المؤلف في رسم « الجعرة » : « الجعرون يخففون » . إلى أول قول
ابن ثعلبي : « وموت على أكتاف هير عشية » . ومقدار ذلك في نسخة من نسخة
وأربعون سطراً .

ولابد هنا من الإشارة إلى أن معظم الخطأ الذي يقع في نسخ هذا الكتاب ، سببه الخط المغربي ، الذي تشبه قراءته كثيراً على المشرقة ، ومن أسباب شيوع الخطأ في الخط المغربي نقط حرف الفاء واحدة من تحت ، والقاف واحدة من فوق ؛ وأن القارة لا يهملون ما يهمله المشرقة ، وكثيراً ما يكتبون الضاد طاء ، والطاء صاداً ، مما يقع القاري في كثير من اللبس والخطأ ، إلا من اعتاد قراءة خطوطهم .

ومن مزايا هذا الجزء أن السكتات التي نشرح كدنت بخط أكبر من كلمات المتن ، وعدد آخر ، وليس كذلك أسماء الشعراء فيه .

أما الجزءان المتضمنان لهذا الجزء ، فهكيتان بخط مغربي ، قريب من خط النسخة من وهما في طولها وعرضها ونظامها ، ولذلك اشتبه أمرهما على المفهرسين في دار الكتب قديماً ، فضموها إلى النسخة من ، وجعلوها متصين لها ، وكتبوا عليهما الرقم ٤٠٤ جغرافياً ، واعتقدت أنا ذلك حيناً ، ولكن بطول التأمل في النسختين ، ظهرت لي فروق بينهما ، وأن كلا منهما أصل غير الآخر .

١ - فما لاح لي من الفروق بينهما الخط ، والخط أمر فني ذوقي ، تدركه العين ، ولا يحيط به الوصف . ومع تشابه النسختين خطاً إلى حد كبير ، فإنني أقرر أن اليد التي كتبت إحداهما غير اليد التي كتبت الأخرى ؛ ولست في ذلك حائطاً في الظلام ، لأن أكتب الخط الجيد ، وأستطيع أن أميز أقلام الكتاب ، وذوق العصور .

٢ - وفريق آخر أدق من هذا وأوضح ، وهو أن السكتات لم يغير في هذين الجزأين على حرف المارة ، التي حرت عليه من في نقط الفاء والقاف ، وإنما نقلهما كما يفعل المشرقة . وهذا فرق جوهري لا مزية فيه .

٣ - وفريق ثالث من حيث الورق ، فورق النسخة من كما قلت كدنت تخبين جاف غير مقلوب ، ولونه إلى الصفرة . أما هذان الجزءان من نسخة في مورقهما أبيض وإن كان غير ناصع البياض ، فمقلوب أحياناً ، وفيه قوة وصلابة أكثر من ورق من .

٤ - وفريق رابع من حيث التوثيق ، فالنسخة من كما قلت في وصفها كانت من كتب الشيخ الخليل خليل بن أبيك الصغدني ، وكان بعض مكتبته قد استقر لمجامع المؤيد بالقاهرة . أما الجزءان الثاني والثالث من نسخة في فقد كانا في يد الأمير عبد الرحمن

فصل على ، ووقفها على طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقرها خزانة العالم الأزهرية الشيخ أحمد الدمنهوري ، وكتب على كل كراسة في الورقة الأولى منها : وقف على طلبة العلم بالأزهر . وهذه العبارات كلها موجودة على الأجزاء الثلاثة من النسخة في .

٥ - وقرئ خالص ، وهو اختلاف تاريخ النسخ : فقد جاء في آخر الجزء الثالث من نسخة في ما نصه : كتبه الفقير إلى رحمة ربه ، المستغفر من ذلله وذنبه ، علي بن عبد الله بن مسعود القاري ، غفر الله له ولوالديه ، ولبن دناهم بالرحمة ، ولجميع المسلمين . وكان الفراغ منه يوم الأحد سابع عشرين رجب من سنة ثنتين وستين وسبعمائة .
فبين كتابة الجزء الأول من النسخة من وكتابة الجزأين الآخرين من نسخة في أكثر من خمسين عاما .

٦ - وقرئ سادس ، وهو أن نهاية الجزء الأول من من بآخر حرف الهاء لا تتفق مع بدء الجزء الثاني من في في وسط رسم (خاتج) . وهذا أيضا دليل مادي لا يتحدد قيمته .
٧ - وقرئ سابع من حيث عدد الأسطر ، فسطرة من ٢٥ سطرا ، ومسطرة هذين الجزأين ٢١ سطرا ، كسطرة الجزء الأول .

أما من حيث الصعقة والضبط ، فيظهر أن هذين الجزأين في درجة النسخة من ؛ فهي هوانشها كثير من الإضافات والطُرُوم ومقابلات النسخ ، بأقلام مختلفة ، بعضها منقري ، وبعضها بخط نسخي جميل أشبه بخط الشيخ خليل الصفدي وليس به الأصل الثالث : النسخة في ، وهي محفوظة بخزانة الأزهر ، ورقها ٢٢٣ تاريخ . وليست نسخة كاملة ، وكانت مقسمة إلى أربعة أجزاء ، ضاع معظمها وبقي أقلها .

في من الجزء الأول ٥٢ ورقة من آخره ، ينتهي بقول المؤلف : (والريحان ، فقال عمر) وهذه العبارة في رسم « أنزعات » أول صفحة ١٣٢ من مطبوعتنا هذه ، وينتهي بآخر هذا الجزء .

وبقي الجزء الثاني كله ، وعدد ورقته ٧٨ تنتهي من حرف الجيم إلى آخر حرف الزاي . وهذه النهاية تتفق مع نهاية الجزء الأول من نسخة ج ، التي هي في مجلدين كبيرين .
وبآخر هذا الجزء العبارة الآتية بخط الناسخ : « ثم السفر الثاني من المعجم لمسكري رحمه الله تعالى ، وصلى الله على محمد رسوله المصطفى وعبدته » .

وكتب محمد بن خلف في شوال سنة ست وتسعين وخمسة .
وهذه النسخة أقدم النسخ التي بأيدينا ، ولعلها أقدم النسخ الباقية من الكتاب ،
بين كتابتها ورواها المؤلف نحو مئة سنة وعشر . وعلى هامشها ما يزيد أنها قورئت
بأصل نخط المؤلف . وهي نخط أندلسي غاية في الجمال ، شبيهة في قاعدته بنخط النسخة س ،
إلا أنه أدق منه وأجمل ؛ وورقها أيضا شبيه بورق النسخة س ، فيه صفرة تشدد في مواضع
الكتابة جدا ، حتى تكون بُدْيَةٌ ، يغب في لونها سواد اللداد ، وعليها تعليقات بخطوط
مختلفة مغربية ، ومسطرتها سبعة وعشرون سطرا في كل صفحة . وهي الغاية في الصحة
والقسط والوضوح ، ولوكات كاملة لماقت جميع الأصول الموجودة من هذا الكتاب
في العالم .

وقد تطرق إليها البلى والذهن ، وصارت صحائف منككة ، أشبه بالألواح . ويجعل
أن تسمى إدارة خزانة الأهر بتصورها ، لتحفظ هذه البقية من عادات الأيام .
أما نتائج مقارنات النسخ الثلاث (س ، ق ، ز) فيما بينها ، ثم مقارنتها بنسخة ج
الطبعة في جوننجن بألمانيا ، فقد فصلتها في الهوامش أسفل الصفحات ، فعلى من يريد
البحث في مزايا كل نسخة أن يراجع ما أمثته من ذلك .
ولم أشأ أن أخرج النسخة ج للطبعة في جوننجن بألمانيا من حسابي في المقالة
والضاعة ، بل قارنت بينها وبين نسخنا المخطوطة ، لأدل الباحث على مزايا النسخ جميعا ،
وفي ذلك فائدة أيضا لمن شاء من الأوربيين أن يقارن مخطوطات أوربية بمخطوطات الشرق .
فليت مسألة واحدة تحتاج إلى التصدير ؛ فما سر اختلاف النسخ بالزيادة والنقص ، وهذا
أمر يظهر أنه ليس للناسخين دخل فيه ؟

والجواب عن ذلك هين ميسور ، وقد أجاب عنه العلامة وصنفه من قبل في مقدمته
لمطبوعته . ذلك أن البكري كتب للمصنف أولا ، ثم أذاعه وتهاداه الناس والرؤساء ،
كما يشاء في موضعه ، ثم ردد النظر في المصنف مُصَدِّقًا مُعَدِّدًا ، فهذا له فيه أشياء لم يفتن
لها أول الأمر ، فأصلحها على هامش بعض النسخ ، أو كما يقول العلامة وصنفه في أوزاعي
وجزازات ، وأخفها بمواضعها من الكتاب ، ثم جاء الناسخون يفتنون الكتاب ،
فبعضهم غير على نسخة منه قبل التنقيح ، فقلها ناقصة ؛ وآخر غير على نسخة منه منقحة

فقطها كاملة ، وبعضهم نقل الجرازات كلها ، وبعضهم وحدها ناقصة ؛ فاختلقت نسخ
الكتاب في أيدي الناس . وهذا أمر عودنا مثله في مقدمة ابن خلدون ، وفي توابين
كثير من الشعراء .

وقد بنيت على هذا نسبها وانحاز جدا في هذا الكتاب في رسم البقيع ، إذ كان المؤلف
قد حاط أولا بين البقيع والبقيع ، ثم بداله ، ففصل البقيع عن البقيع ، فصبغة ضمتها إلى
الأصل في البقيع ، فقرأ ذلك في الصفحات ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

وللزيادات التي على هوامش النسخ استحال آخر : أن يكون بعضها من إضافة الذين
قروا الكتاب من العلماء ، ولم ينسوها على أن ذلك زيادة من عندهم ؛ فبشبهه أمرها على
الناسخين ، فبقوا هذه الزيادات في المتن ، على أنها من تنصت كلام المؤلف . وهذا نادر
المصنوع في سبيل الكثرة ، ومن أمثله أن المؤلف حين ينسب الشعر إلى النابتة الدنيابة
يقول : قال النابتة ، ولا يزيد على ذلك . وهذا ملحوظ عندنا في النسخ الثلاث المخطوطة ،
أما نسخة فريد وأما كلمة «الدنيابة» بعد النابتة ، وأظنها من زيادات القارئين .

وقد رأيت مثل هذه الزيادات التي يدخلها الناسخون على المتن الأصلية ، في نسخة
شرح التبريزي لسقط الرند ، المخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (١٤٣٤) .

ولم أكتف في تحقيق هذا الكتاب بمقابلة النسخ وإثبات صور الخلاف والاتفاق
بينها ، ولكني عرضت مادة المعجم عرضا دقيقا على المصادر التي أخذتها المؤلف إن
وجدت ، كتعب الأسماء والأحداث والتواريخ ؛ وعلى مصادر أخرى لم يأخذ منها
المؤلف ، ولكنها تشاركه في موضوع بحثه ، كمعجم اللغة ومعجم البلدان ، وقد خرجت من
هذا العرض الشاق بنوائد كثيرة ، استدراكا على المؤلف في أمور أخطأ فيها ، ويستطيع
الباحث أن يقرأ ما كتبتاه من ذلك في رسم البقيع مثلا ، وفي رسم البواريج ، وفي رسم
نور ، وفي كثير غير هذه ، مما رآه ماثورا في ذيل الصفحات .

وسألتني بأمر الكتاب عند تمامه ، الفهارس التي أراها مكملته ، فمبشرة للبحث
عن فوائد ، مفصلة لأغراض ومقاصده .

التعريف بمؤلف الكتاب

أما مؤلف هذا الكتاب فهو أبو عبيد عبد الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن أبي زيد محمد بن أيوب بن عمرو البكري . من بكر بن وائل مكيبة . وهو لغوي من الطوائف الأولى في الألفي الأندلسي . تحدثنا مؤلفاته النادرة أنه امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية العالية ، كما تحدثنا أصحاب التراجم بأن أسلافه كانوا من بيت السراوة والشرف والرياسة ، وأرباب النعم ؛ استمدوا الشرف من صريح أنسابهم في بلاد الغنمة ، كما استمدوه من ماضيهم الحزني في فتح الجزيرة ، وشغل المناصب العالية في الدولة ، فتحدثنا كتب التراجم أن سيده أيوب بن عمرو تولى خطة الرد بقرطبة زمن الدولة الأموية ، والقضاء ببلدة لشبنة . والقضاء كان من المناصب التي يحتكرها عليا الناس وسرواتهم في الأندلس . فلما انتزع دولة الأمويين ، تقلب ملوك الطوائف على ما بأيديهم من البلاد ، واستقر البكر بن أيوب (وآلته) وتماطش وما بينهما من البلاد في كورة لشبنة ، على ساحل البحر المحيط ، غرب إشبيلية ، وتعدوا منها مقعداً كبار الأشراف ، من الخروج عن الطاعة ، والاستبداد عن الجماعة . ودانت إمرة البكرين في تلك الناحية نحو أربعين سنة ، انتهت بمقلب المعتضد عباد بن محمد صاحب إشبيلية سنة ٤٤٣ هـ على ما جاوره من البلاد والإمارات الصغيرة . وكان آخر البكرين حاكماً بأوبنة أبو مصعب عبد العزيز ، والد أبي عبيد صاحب المعجم ، فخرج هو وآله منها ، وزلوا قرطبة في كنف بن سهرور . ولم تصرح كتب التراجم بالسنة التي ولد فيها أبو عبيد ، وإنما ذكرت وفاته سنة ٤٨٧ هـ عن سن عالية ، كما يشهد بذلك كلام الفتح بين خاقان في القلائد .

وقد ذكرنا من أساتذته أربعة من جلة علماء الأندلس : أبا مودون بن جيان صاحب التاريخ المشهور ، وأبا بكر المسخفي ، وأبا العباس المذري ، وأبا عمر يوسف بن عبد البر الذهري ، حافظ الأندلس ، ومحدثها الأكبر ؛ نذكر كتب التراجم أنه أجاز أبو عبيد ، وأعله ناوله كتبه ومروياته ، وهي كثيرة ، واسكن البكري لم يأخذ عنه ، ولم يسمع منه . وإن كان بعض الباحثين قد فهم من الإجازة أنه تلمذ له .

ولم تذكر التراجم غير من ذكرنا من شيوخه . أننا أنا فإني البكري من نغرات ذلك العراس الأدبي ، واللغوي ، الذي غرسه أبو علي الفاي في إقليم الأندلس . فقد تخرج

بكتب أنى على التى ألقها ، والتى حملها من الشرق ، من مخطوطات منسوبة ، مقروءة على مؤلفيها ، مصبوغة أتم الضبط ، ومصححة غاية التصحيح ، سباع أنى على ، أو روايته عن شيخه العراق ، من أمثال ابن ذريرد أو أبى غنيد ، أو تخطويه أو ابن السكيت أو الأصمعى أو غير هؤلاء من أئمة اللغة ، وليس من الحجازفة أن أقول اعتياداً على المعجم وعلى اللآلى : إن البكرى وثيق قرأ كثيراً من كتب القالى ، التى عليها خطه أو خطوط أصحابه . بل قد تفرس البكرى بتواليف القالى تفرساً ، وفلاها فدياً ، واستطاع بشافته المتتارة أن يشرحها ، ويستدرك عليها ، وينقدها قد الصيرفى للدرام : وتلك منزلة عالية فى الإساطة باللغة والشعر والتاريخ والأساب ، عرفها له أهل عصره ومترجموه ، فوصفوه بالتقدم فى فنونه ، ورواج تواليقه ، حتى كانت تشهداها للوك فى عصره .

وللبكرى مؤلفات كثيرة ، أشهرها هذا المعجم ، وكتاب اللآلى ، فى شرح أمالى القالى الذى نشره الأستاذ عبد العزيز الميمنى (الاحكوتى) ، نشرة علمية مصححة محققة ، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م .

ومنها كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء ، وهو مثل المؤلفات والمختلف من أسماء الشعراء للأمدى ، إلا أنه أكثر منه . وكتاب اشتقاق الأسماء . وكتاب أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكتاب التدريب والتدريب ، فى ضروب أحوال الحروب . وكتاب التنبيه ، على أغلاط أبى على فى أماليه ، وقد طبع منمحقاً بكتاب أمالى القالى . وكتاب صلة المفصول ، فى شرح أبيات الغريب المصنف . وكتاب فصل المقال ، فى شرح كتاب الأمثال . وكتاب المسالك والممالك ، وقد طبع منه البارون دى سلين قطعة باسم كتاب المغرب ، فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، بالجزائر سنة ١٨٥٧ م . وكتاب النبات ، أو أعيان النبات والشجريات الأندلسية .

وهذه الكتب كلها قد ذكرها الميمنى فى مقدمة بخط اللآلى . وذكر بعضها السيوطى فى نغمة الوعاء . وابن بشكوال فى الصلة ، وأكثرها لم يطبع . وكان البكرى معنياً بكتبه ، يكتبها بالخط الجيد ، ويحفظها التجليد النفيس ، وكان الملوك والرؤساء ينفقون فى اقتنائها ، ويهدونها فى هباته .

وما جاء فى كتاب الصلة لابن بشكوال (المتوفى سنة ٥٧٨ هـ) فى التعريف به .

« عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، من أهل شاطئ ، سكن قرطبة ، وبكى
أما غيبه . روى عن أبي مروان بن عثمان ، وأبي بكر الصفي ، وأبي العباس المنبري ،
سمع منه بالمرية ؛ وأما له أبو عمر بن عبد البر الحافظ فيهم .
وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بتمام الأشعار والغريب والأنساب
والأخبار ، متقنا لما قديم ، صابغوا لسانه ، جميل الكتف ، متعبها ، كان يسكنها في
صائب الشرب وغيرها ، لم كرامها وصيانة ، وجمع كتابا في أعلام نبوة نبيها عليه السلام ،
أخذ الناس عنه ، إلى غير ذلك من تواليه . وتوفي رحمه الله في شوال سنة
سبع وثمانين وأربع مئة ، ودفن بمقبرة أم سلمة .
وحدثه الشيخ ابن خالان المتوفى سنة ٥٣٥ هـ في القلائد بقوله :

« عالم الآوان ونصنعه ، ومفرط البيان ومشتبه ، بتواليه كلها الخرائد ، وتصانيف
أبهى من القلائد ، على بها من الزمان عاطلا ، وأرسل بها غمام الإحسان عاطلا ، ووضعها
في فنون مختلفة وأنواع ، وأعطاهما ما شاء من إتقان وإبداع . وأما الأدب فهو كان متعبها ،
ومحل سباه ، وقطب نازده ، وفلك تدايه وإبداره . وكان كل ملك من ملوك الأندلس
ينهاذه ، تنهده المقلد البكري ، والآذان للبشري . . . إلى آخر ما قاله . »

ومن قول ابن هشام الشنفرى (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) في الذخيرة يصف المؤلف :
« منهم الوزير أبو غيبه البكري ، وكان بأفقا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، وأولهم
بالبراعة والإحسان ، أرفعهم في العلوم طائفا ، وأصنفهم في المنثور والنور انفا ، كان
العرب استغلت على لسانها ، والأيام ولده زمام حذقها ، ولولا تأخر ولادته ، لأنسى
ذكر كذبه المتقدم الآوان ؛ ذرب لسان ، وبراعة إتقان . . . إلى آخر ما قاله . »

كان أبو غيبه البكري كتابا ، ولعله قد كتب عن محمد بن معن الصمدي صاحب
المرية ، الذي اصطفاه وقربه ، ورفع مرتبته ، ووسع راتبه ، ولعل كان يقب بالوزير
جرى بذلك قمر ابن سام في الذخيرة ، بل لقبه الصفي في اليمية بذي الوزارتين ، وقال
الصمدي في الوالي : إنه كان أميراً بساحل كورة كوة ، وصاحب جزيرة شاطئ
وفي رأي أنه لم يوزر لأبيه وزر لأبيه ، أو لمصاحته الملوك ، وإن لم يكن وزيراً
ما الحقيقة ، عما جرى به العرف الأندلسي . والناس كانوا ولا يزالون يتوسمون في

الألقاب بلا حساب ، على أن أبا عبيد لم تكن منزلته في نفوس أهل عصره أقل من منزلة الوزراء .

ونفره جزل متين ، عريق الديباجة ، حسن الأسجاع ، يشبه نثر الفتح ، صاحب القلائد والمطوح ، وابن بسام صاحب الذخيرة ، وهو يثب بصلة قوية إلى نثر كتاب المشرق في القرن الرابع ، أمثال ابن العميد والمصاحب بن عباد وطبقتهما .
وما يدل على براعة أساليبه ، مما كتبه من رقعة يهني بها الوزير الأجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة :

« أسعد الله وزارة سيدي الدنيا والدين ، وأجرى لها الطير المتيامين ، ووصل بها التأييد والتمكين . والحمد لله على أقل بقله ، وحذل قد سوغه ، وضمان حقه ، ورجاء صدقه . وله الله في ظلام كان أعز الله صبحه ، ومشتبهم غذا شرجه ، وعطال نحر كان حليته ، ووصال دهر صار هديته .

فقد عمّر الله الوزارة باسمه وردّ إليها أهلها بعد إقصاء »

* * *

وبعد ، فإنا نحقق حين أقدم هذا السفر إلى العلماء والباحثين أن أسجل شكرى للذين عاونوني على إخراجه ، وأخص بالشكر زميلي الفاضل المدرسين بكلية الآداب بجامعة مواد الأول : الدكتور مراد كامل ، لأنه قرأ لي مقدمة العلامة وستيفلد الألمانية ، والدكتور عبد الرحمن بدوي ، لأنه ترجم لي تلك المقدمة وكتبها بخطه ، وبعض الطلاب وخرجي كلية الآداب الذين عاونوني على مقابلة نسختي بالأسفل المخطوطة . وأخيرا أقدم جزيل الشكر للجنة التأليف والترجمة والنشر على قيامها بنفقات الطبع ، وبتعبه المجهود ، على ملأيت من دقها وعنايتها الفنية ، في إلباس الكتاب هذه الحلة الرائعة .

وكتب بالقاهرة في شعبان سنة ١٣٦٤ = يولييه سنة ١٩٤٥ م

مُصطَفَى الشَّيخَا

ثالثاً

نماذج عملية

موشية

عملتها بمناسبة عودة الأستاذ الجليل عميد نقاد الآداب
العربية ، الدكتور " طه حسين " إلى كلية الآداب بجامعة
نواد الأول أستاذ غير متفرغ ، لتدريس الأدب العربي ، في
يوم السبت ٤٠ منه فبراير سنة ١٩٥٣

طلع الموشية
وهو الفضل الأول

كَلِمَةُ الْآدَابِ
فِي نَشْوَةِ وَبَشْرِ
تَرْهُوَ عَلَى الْأَثَرِ
بِیَوْمِهَا الْأَعْرَ

لَدَتْ لَهَا الْأَنْغَامُ
وَزِيرِنَا الضَّرْغَامُ
مَا مِثْلُهُ مَنْ قَامَ
بَعُودِ طَه الْأَفْضَلِ
حَلَّالِ كُلِّ مُعْضِلِ
بِخُطْبَةِ فِي مُحْفِلِ

البيت الأول

وَيَحْلِبُ الْأَلْبَابُ
لَفْظُ لَهُ كَالشَّيْرِ
أَخِيَا أَبَا الْآدَابِ
أَبَا الْعَلَا الْمُعَرِّي

القُفْرَانِي

٢

ويا فرج الأدب
جَدَّدَتْ حُجْدَ الرِّبِّ
سَلَّاسِلَ مِنْ ذَهَبٍ

يَا عَمْدَةَ الثَّقَاذِ
بِالْمَنَاطِرِ الرِّقَاقِ
يَا نَيْكَ الْمُنْقَادِ

البيت الثاني

أَتَاخَ لِلطَّلَّاتِ
قِلَابًا مِنْ دُرٍّ
وَمَكَّنَ الْأَصْحَابِ
مِنْ اجْتِنَاءِ التَّنَحُّرِ

الفصل الثالث

٣

عَنْ مَعْدِنِ الْحَقَائِقِ
هَذِي بَنَاتُ طَارِقِ
وَالَّذِي فِي الْمَخَاسِقِ

كَشَفْتَ لِلْأَحْيَالِ
وَقُلْتَ لِلشُّوَالِ
الْمِسْكُ فِي الْأَوْصَالِ

البيت الثالث

فِيَابَنِي الْأَدَابِ
مَا رَأَيْتُكُمْ مِنْ أَمْرِ
هَلْ فِيكُمْ مِنْ آتٍ
بِمِثْلِهِ فِي الدُّهْرِ

الفصل الرابع

٤

يَا فَخْرَ مَضَرِ الْجَرَّةِ
شَاءَ كُلُّ أُمَّةٍ
فِي الشَّرْقِ أَوْ أُورَشَلِيمَ

يَا مَذَكِّي الْأَمْرَاءِ
قَدْ عَظَمَ الْأَمْرَجَاءُ
عَلَيْكَ وَالْأَصْدَاءُ

البيت الرابع

التمثيل الخامس

تُرْهِى بِهَا أَلْبَابُ
أُولَى التَّهْمَى وَالْفِكْرِ
وَالْحَاسِدِ الْمَرَاتِبِ
يَصْلَى بِجَمْرِ الصَّدْرِ

○

أَيْتَانِ خَامِسَ وَهَذِهِ أَنْزَهَا مِنْ
صَوْنِهَا أَشْعَارُ
ضَمَّتْهَا الْبُتُونُ
مِنْ جَنَّةِ الْأَنْدَلُسِ
تُضِيْ مُثْلَ الْقَبَسِ
مِنْ لَفْظِكَ الْمُحْتَلِسِ

التمثيل السادس
وهو الخربة

غَنَّتْ بِهَا الْأَدَابُ
هَذَا تَرْيِغُ الْعُمُرِ
دَقِّ الْحَبِّ الْبَاتِ
يَا فَرَحِي بِالْبَدْرِ

سورة

١٩٥٣/٢/٧

عن ابنه بمناجاة نقل رفات الزعيم الوطنى الفارس ، المرحوم مهدي من كامل باشا
مدرسته القيمه بجماعة الهدى السافى ، الى ضريحه الجدير بميدان صلاح
الدين بالقلعة ، فى يوم ذكره الفاتم والدرجيمه : (١٠) من فبراير

سنة ١٩٥٣

يابنات الهدى

أسعدن حرنى

بالبكاء والعوين

فى ففيد الوطن

ابن مصر اللباب مصطفى كامل الوفى

ذاك فخر الشباب فاندبى مصر واهتفى

جل فيه المصاب خل تحنيك تدرف

هل درى اهل جيل

مثل فى المبح

من رأى أسد نيل

فى نجيل البدن

يَا عَظِيمَ الْمُرُوءَةِ يَا حَلِيفَ الشُّهَادِ
هَذَا سَمِيتَ الرُّفَادُ بَعْدَ حُسَيْنِ حُجَّةِ
ثَرَرْتُ الْجَهَادُ فَائِدًا لِلْسِّفِينِ
تَسْتَحِثُّ الرَّحِيلُ
لَا سَبَاقَ الزَّمَنِ
مُؤْخِزِنَا بِالرَّحِيلِ
عَنْ مَثَارِ الْفِتَنِ

إِنَّ شَعْبًا زَالَ حَامِلًا لِلْمَشَايِلِ
فَابَسْ مِنْ ضِيَاكَ عِصْمًا فِي التَّوَانِلِ
ذَائِدٌ عَنْ حِمَاكَ حَارِسٌ لِلْمَنَاهِلِ
بِالْحَسَامِ الصَّفِيلِ

وَأَشْتَعالِ الْفِطْنِ
كُلُّ ذُرٍّ جَلِيلٍ
فَدِينُهُ لِلْوَطَنِ

يَا مَذِيْعَ اللَّوَاءِ عَمَلًا فِي الْمَشَارِقِ
أَيُّنَ مِنْكَ النَّدَاءُ لِلْعُلَا وَالْحَفَائِقِ
مُذْ بَنَيْتَ الْبِنَاءَ مُحْكَمًا لِلْمَوَاشِقِ
رِيْعَ مِنْكَ الدَّخِيْلُ
وَابْتُلِيَ بِالْمَحْنِ
حَانَ مِنْهُ رَجِيْلُ
عَنْ دِيَارِ الْفِطْنِ

لَوْ تَخَطَّى الْجَاهُ بُلْبُكُ الرِّوَضِ وَانْتَضَى
لَرَأَيْنَا الطَّغَامَ عَصَبَتِ الْعَادِي فِي سَفَرِ
وَمَلَكْنَا الزَّمَامَ مُدْسِنِينَ مَعَ الظَّفَرِ
قُلْتُ قَامَ الدَّلِيلُ
يَا رِجَالَ الزَّمَنِ
بَعَثْ هَذَا النَّبِيلُ
نُصْرَةً لِلْوَطَنِ

كامل

١٩٥٢/٥/٨